كلية التربية

كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم

إدارة: البحوث والنشر العلمي (المجلة العلمية)

=======

المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي

إعـــداد

د/ إيمان بنت زكي عبد الله أسرة

أستاذ أصول التربية الإسلامية المساعد بجامعة أم القرى

كلية التربية بقسم التربية الاسلامية والمقارنة

البريد الالكتروني : ezosrah@uqu.edu.sa

osrah-eoe@hotmail.com

﴿ المجلد السادس والثلاثون – العدد الرابع – أبريل ٢٠٢٠م ﴾

http://www.aun.edu.eg/faculty_education/arabic

مستخلص البحث :

يعبر الاتزان الفكري عن سلامة منهج التفكير يصل من خلاله الإنسان لتكوين تصورات عقلية يقينية ، ومعارف أصيلة تمكنه من تحقيق الأمن والثبات العقدي والفكري ، وإن تحقيق الاتزان الفكري للطالب الجامعي ضرورة تربوية لاستقامة منهجه الفكري وحمايته من الانحراف الفكري، ويتطلب تحقيقه متطلبات تربوية ذات أصالة مرجعية ، ولذا تمثل هدف البحث الحالي استنباط المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي ، والمتمثلة في المتطلبات العقلية والعقدية ، ولتحقيق هذ الهدف استخدمت الباحثة المنهج الاستنباطي التحليلي ، وتوصل البحث لجملة من النتائج من أبرزها : إن من أبرز خصائص الفكر المتزن أنه فكر موضوعي، برهاني، وسطي ، منهجي التفكير يقدم النقل على العقل، ويؤمن بنسبية القدرات العقلية، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ويتسم بالاعتدال والاستواء على الصراط المستقيم. وتتمثل العوامل المؤثرة في تحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية في عوامل ذاتية تتصل بخصائص النمو العقلي ومطالبه، وعوامل خارجية تتصل بالبيئة الفكرية ، ولقد أقرت منهجية التفكير السليم في المنهج الإسلامي متطلبات عقلية لتحقيق الاتزان الفكري كان على رأسها تزويد الطالب الجامعي بالمنهجية الصحيحة لفهم النصوص الشرعية، وتنقية عقله من معطلات الاتزان الفكري كمنهج التقليد الأعمى، ومنهج الظن والتشكيك في الثوابت الدينية ، وإثار الشهوات، وإتباع خطوات الشيطان ، وإن من مظاهر عدم التوازن بين مصادر الاستقاء العلمي والتي تؤثر سلباً على تحقيق الاتزان الفكري الارتكاز على القرآن الكريم وترك السنة النبوية، وتقديم العقل والحواس على الوحي، ويتطلب الاتزان الفكري بناء تصورات العقل وفق العلم اليقيني بالأدلة والبراهين ، واستناده على منهجية النقد العلمي التي تكفل تحقيق الاتزان بين الأصالة والمعاصرة، وإن حماية عقيدة الطالب الجامعي من مخالطة أهل الشبهات والانحرافات العقدية والبدع متطلب عقدي لتحقيق الاتزان الفكري، كما توجد علاقة طردية بين قوة عقيدة التسليم لأقدار الله الشرعية والكونية وبين تحقيق الاتزان الفكري، وإن اعتدال عقيدة الطالب الجامعي بين الخوف والرجاء ، وتحقيق الإيمان بالقدر خيره وشره متطلب عقدي أساسي للاتزان الفكري. وفي ضوء النتائج السابق ذكرها توصي الباحثة الجامعات بتضمين المتطلبات العقلية والعقدية لتحقيق الاتزان الفكري في مقرر علمي يقدم للطالب الجامعي في مختلف التخصصات كمتطلب عام أساسي، وإقامة ورش عمل وبرامج تدريبية تزود الطالب الجامعي بالمنهجية الإسلامية في التعامل مع النصوص الشرعية ، ومنهجية التفكير العلمي البرهاني ، ومنهجية النقد المعياري ، والمنهجية الصحيحة في التعامل مع فكر الآخر.

الكلمات المفتاحية : المتطلبات التربوية – الاتزان الفكري – التوازن الفكري – الطالب الجامعي.

Abstract

The objective of this research was to develop educational requirements to achieve Intellectual equilibrium for Saudi university students from an Islamic perspective, which is the mental and doctrinal requirements. To achieve this goal, the researcher used the **analytical deductive method**. **The most results** are that characteristics of balanced thinking is being an objective, proof, intermediate, methodical bring Qur'an and Sunna forward the mind, believes in the relativity of mental abilities, combines originality and contemporary, moderate and level on the straight path. The factors influencing the Intellectual equilibrium of Saudi university students are subjective factors related to the characteristics and demands of mental development, and external factors related to the intellectual environment. The methodology of right thinking in the Islamic curriculum has adopted mental requirements to achieve Intellectual equilibrium. First was to provide the university student with the correct methodology to understand Islamic texts, and to purify his mind from the Intellectual equilibrium barriers as the blind imitation, the doubt and questioning the religious constants, arousing desires, and following the steps of Devil. One of the imbalances between the sources of scientific recovery, which negatively affect the Intellectual equilibrium, is the reliance on Holy Quran and ignorance of Prophet's Sunnah, and bring the mind and senses forward to revelation. Intellectual equilibrium requires building mind perceptions according to the certainty science that based on evidence and methodology of scientific criticism that ensures the balance between originality and contemporary. Protecting the student's faith from contact with people of suspicion and nodal deviations is a doctrinal requirement to achieve Intellectual equilibrium. There is also a direct relationship between the power of the doctrine of submission to God's legal and universal destiny and the

achievement of Intellectual equilibrium, and the balanced doctrine of the university student between fear and hope, and the faith in good and evil destiny is a fundamental requirement for Intellectual equilibrium. **Then the researcher recommends** that to achieve Intellectual equilibrium, universities should include the mental and doctrinal requirements in a scientific course offered to the university student in various disciplines as a basic general requirement. Also, to hold workshops and training programs that provide the university student with the Islamic methodology in dealing with Islamic texts, the methodology of scientific and evident thinking, the methodology of normative criticism, and the correct methodology in dealing with the others' thoughts.

Key Words: Educational requirements, Intellectual equilibrium, Intellectual balance, University student

مقدمة

إن الحمد الله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له **أما بعد...**

لقد سلك المنهج الإسلامي في تربية الإنسان مسلك الاتزان في تنمية كافة جوانبه، وفي إقرار كافة التشريعات التربوية دون اختلال في تقدير الأولويات، ودون إفراط ولا تفريط في التشريع أو التطبيق والامتثال، وكفلت له التوزان في إشباع حاجاته الروحية والعقلية والغريزية. فقد أقر المنهج الإسلامي منهجية الاتزان في كافة ميادين التربية غارساً في الشخصية الإنسانية أهمية الارتكاز على هذا النهج المتوازن لتحقيق الهداية والفلاح في الدارين ، وملغياً لكل نهج يورث الضلال والبدع والفتن التي تفرق الكيان الإنساني ولا تجمعه. قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾(القرآن الكريم ،الكهف ، ١-٢) . قال(الشوكاني: ١٤١٤) وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً أَيْ: شَيْئًا مِنَ الْعِوَجِ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الِاخْتِلَالِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى... وَالْقَيِّمُ: الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا مَيْلَ فِيهِ، أَوِ الْقَيِّمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، أَوِ الْقَيِّمُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ مُهَيْمِنًا عَلَيْهَا، وَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ تَأْكِيدًا لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ نَفْيُ الْعِوَجِ، فَرُبَّ مُسْتَقِيمٍ فِي الظَّاهِرِ لَا يَخْلُو عَنْ أَدْنَى عِوَجٍ فِي الْحَقِيقَةِ " (ج٣، ص٣١٩) ، فالمنهج الإسلامي منهج الاتزان والاستقامة الذي لاعوج فيه مطلقاً.

وإن من أوجه الاتزان في المنهج الاسلامي الاتزان الفكري الذي يعد مقوم مهم من مقومات العقل الإنساني ، ومقوم للحفاظ على أمن الفرد والمجتمع من الانحراف والاضطراب الفكري ، ومؤشراً من مؤشرات سلامة المنهجية العقلية للتفكير ؛ كما أنه مؤشر يعكس سلامة التنمية الفكرية التي يتلاقاها المتربي في المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية؛ ولذا نجد أن المنهج الإسلامي يحرص على تحقيق الاتزان الفكري و يحمي العقل من الاضطراب والانحراف الفكري الذي ينتج عنه الانحراف العقدي والسلوكي ، فكلما كان المنهج التربوي أصيلاً في ارتكازه على المنهج الإسلامي كلما كان قادراً على تحقيق الاتزان الفكري ،" وتوازن الإسلام هو التوسط بين طرفي الغلو والتفريط الذي لم يسلم منها منهج بشري صرف أو منهج ديني دخله تحريف البشر" (عتيبة ، ١٤٣٥، ص١٣٠)

فلقد اعتنى المنهج الإسلامي بحفظ الفكر الإنساني وتنمية قدراته العقلية واستثمار مهاراته وحماية قواه من كل مفسد مادي ومعنوي؛ لكونه عماد التكليف ، ومدار استقامة الإنسان على الطريق المستقيم ، ولكي يكفل الدين الإسلامي للإنسان استقامة عقله خاطبه بالعلم اليقيني الخالي من التناقضات والمحالات العقلية، ووزنه بميزان الإيمان والتصورات العقلية والمفاهيم الشرعية الأصيلة ، ووضح له النهج الذي ينتهجه لطلب العلم ، وشرع له ضوابط تضبط عمله في كل مجال من مجالات المعرفة ؛ هادفاً تحقيق الاتزان الفكري له وحمايته من التخبط والعشوائية والانحراف والاضطراب الفكري الذي يؤثر على استقامته في كافة جوانب حياته. قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ١٥٣﴾ (القرآن الكريم ، الأنعام، ١٥٣). فلكي يكفل المنهج الإسلامي تحقيق الاتزان الفكري للعباد على الصراط المستقيم شرع عدة متطلبات تربوية منها ما يتصل بالتنمية العقيدة الصحيحة واكتساب التصورات العقلية الأصيلة ، ومنها ما يتصل بالمنهجية العقلية للتفكير ؛ هادفاً اتفاق الفكر واتساقه مع المقاصد الشرعية فهماً وقولاً وعملاً ، وتحقيق الأمن العقدي والفكري للفرد والمجتمع ، وتضيق دائرة الخلاف الفكري ، وتحصين الأمة الإسلامية من الاختراق الفكري من قبل الحضارات الفكرية المعارضة للمنهج الإسلامي ، مما يكفل الحفاظ على وحدة الأمة المتحصلة من وحدة الفكر المتحصل له من الاتزان الفكري لأفراده ؛ ولذلك فإن من الضروري عناية التربية بتحقيق متطلبات الاتزان الفكري لدى المتربين .

مشكلة البحث :

إن تحقيق الاتزان الفكري للإنسان متطلب تربوي ركيز في مختلف مراحل حياته إلا أن لكل مرحلة متطلبات تربوية تختلف عن غيرها تبعاً للتطور والنماء الحاصل في القدرات العقلية ، وتبعاً لبساطة المعرفة أو تعقدها في كل مرحلة من مراحل الانسان ، وتبعاً لاتساع معارف العقل وتعدد مصادر الاستقاء المعرفي لديه، وتبعاً لتباين التحديات التربوية التي تواجه التربية بشكل عام وتواجه المربي والمتربي بشكل خاص ، والتي تجعل المتربي أشد حيرة واضطراب مما يفرض عليه طلب الاتزان الفكري.

وفي الحقيقة إن أشد المراحل التعليمية احتياجاً لتحقيق الاتزان الفكري هي مرحلة الجامعة ، فالطالب الجامعي يفتقر للاتزان الفكري؛ لكونه يواجه نشاطاً فكرياً متنامياً بشكل سريع ومتتابع تفرضه عليه خصائصه العقلية وتفرضه عليه العوامل الثقافية والعلمية والتقنية المحيطة به؛ لذا فإن الاهتمام باستنباط المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري من المنظور الإسلامي

لطلاب الجامعات السعودية يعد حاجة تربوية ماسة ؛ تبعاً لاهتمام المنهج الإسلامي وشدة عنايته بمرحلة الشباب ؛ لكون هذه المرحلة هي المرحلة التي تهيء الإنسان لمرحلة الرشد فصلاحه في المستقبل مترتب على سلامة تنميته العقدية والفكرية والأخلاقية والسلوكية في هذه المرحلة الهامة والحرجة من حياته التي تسيطر فيها عليه ملذاته وتثور شهواته، ويتسع انفتاحه الفكري على الثقافات الأخرى؛ لذا أثنى الله على أصحاب الكهف مخبراً أنهم مع ريعان شبابهم إلا أنهم كانوا على الإيمان والهدى والثبات العقدي. قال تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى١٣﴾ (القرآن الكريم، الكهف،١٣) ، كما أن الله أعظم الثواب للشاب الذي ينشأ في طاعته ؛ لكونه يجاهد نفسه على طاعة الله في مرحلة تكون شهواته وملذاته في أوجه قوتها فيضبطها وفق منهج الله ويستثمر كل قوته من أجل الله . قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(مسلم، د.ت،ج٢،ص٧١٥).

وحينما كان الشباب قوة الأمة الإسلامية وأقوى الموارد للنهوض بها عمد أعداء الإسلام لهدم قوة الشباب ، ببث الأفكار الضالة والمنحرفة والتصورات الفاسدة والمفاهيم الزائفة التي تتعارض مع المفاهيم والمبادئ الإسلامية بهدف إضعاف اتزانهم الفكري و إقصائهم عن المنهج الإسلامي الذي تكفل لهم بتحقيقه ، ويؤكد ذلك (العمار، ١٤٣٩) حيث يذكر: "قد عرف أعداء الوطن قيمة الشباب ومكانتهم وأثرهم وتأثيرهم في مجتمعاتهم فأقبلوا عليهم بقضهم وقضيضهم لفتنتهم ولبث الفتن والأهواء والشبهات والشهوات" (٢٠٤١).

كما أشار (العمار ، ١٤٣٩) أن الدور التربوي الأقوى لحماية وحفظ الشباب من هذا الخطر الجسيم يقع على كاهل الجامعات حيث يقول : " وقد أدرك القائمون على التعليم العالي في بلادنا أهمية الجامعات وأثرها في حفظ عقول طلابها ، وحمايتها من كل ما يضرها ويشينها من الأفكار المنحرفة والآراء المضللة فأشاروا الى ذلك وأكدوا عليه في أكثر من موضع من اللائحة الموحدة للتعليم العالي " (٢٠٤٢) ، وهذا يؤكد أهمية الدور التربوي للجامعات في الاهتمام بحفظ عقول الطلاب ومساعدتهم للوصول للاتزان الفكري وفق متطلبات تربوية أصيلة تسهم في حماية المتربين من الانحراف الفكري ومختلف المشاكل الفكرية التي تهدد أمن الفرد والمجتمع وتفقده اتزانه .

وإن من مظاهر فقدان الاتزان الفكري التي انتشرت بين بعض من طلاب الجامعات التشدد الديني والتأثر الفكري بالأفكار الضالة والابتعاد عن منهج الوسطية والاعتدال، مما يؤكد الحاجة الماسة للعناية بتحقيق الاتزان الفكري وفق متطلبات تربوية عقلية وعقدية. حيث يشير (قطران، ١٤٤٠) " أن مصطلح التوازن الفكري من المصطلحات المعاصرة ... ،وظهر تداوله بشكل كبير مع نشأة الأفكار المغالية والمنحرفة ، وهو حالة من الانسجام والتوافق التام بين كل فئات المجتمع تجاه قضياه الكبرى يشعر المراقب بتوجه المجتمع بكل فئاته نحو غاية سامية ويصعب اختراقه من قبل الخصوم" (ص٥٦٢) .فمن مظاهر عدم الاتزان الفكري الغلو والتطرف في الدين الذي نتج عنه وقوع الجهال من حدثاء السن في مصيدة الإرهاب والعدوان وقتل الأبرياء بدعوى نصرة الدين، ولقد نبه النبي صلى الله عليه أمته أن من صفات الخوارج في آخر الزمان الجهل وحداثة السن فقال صلى الله عليه وسلم: "سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (مسلم ، د.ت، ج٢، ص٧٤٦) ، فحداثة السن مع الجهل عامل للوقوع في الضلال والانحراف العقدي والفكري ، وللأسف فإن مجتمعنا الإسلامي عانى من وقوع الشباب في مصيدة الإرهاب الناتج عن تبنيهم لمذهب الغلو والتطرف في الدين، وعدم فهمهم الجيد للمقاصد الشرعية من التشريعات الإسلامية كشريعة الجهاد ، وضعف إدراكهم للمفاهيم الإسلامية وعلى رأسها مفهوم تكفير المعين ، حيث ذكر (اليوسف ، ١٤٣٩) : "وقد كان هذا هو الحال الغالب على جملة من شبابنا الذين وقعوا في الأحداث الإرهابية ، فقد غلب عليهم حداثة السن ، حيث كانت أعمار أغلبيتهم من السابعة عشر للثلاثين " (ص٢٠٢٥) ، فالجهل بالدين الإسلامي وفقدان المنهجية الصحيحة للتفكير يورث الغلو ومجاوزة الحد الشرعي في العقائد والعبادات ، وإن الطريق لتحقيق الاتزان الفكري إتباع المنهج الوسطي الإسلامي قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (القرآن الكريم ، البقرة،١٤٣) ، كما وضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الغلو سبب لهلاك الأمم . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: هَاتِ، الْقُطْ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"(النسائي،١٤٠٦، ج٥، ص٢٦٨) ، فلا بد من العناية بغرس مفاهيم الدين الإسلامي وتوضيح الهدى النبوي في تطبيقها ومقاصد الشريعة من اعتبار التشريعات؛ كي يتحقق للمتربي الاتزان الفكري ويكون في حصانة

فكرية من الانحراف والاضطراب الفكري . ولذلك أوصى (اليوسف ، ١٤٣٩) " إن الحاجة ملحة وضرورية لمعالجة الغلو بمختلف اتجاهاته والانحرافات الفكرية ،وأثرها في التكفير والالحاد في المجتمع السعودي وذلك من خلال طرح برامج وخطط علمية رصينة عبر الجامعات والمؤسسات التربوية " (٢٠٢٩).

وإضافة لما سبق فإن اضطراب الهوية الإسلامية لدى بعض الطلاب تأكد على ضرورة العناية بتحديد المتطلبات التربوية التي تسهم في تحقيق الاتزان الفكري حيث أشار (عبد المعطي، وقناوي ، د. ت) "إن من يعانون تشتت الهوية يميلون إلى وجود فراغ في الفكر والأيديولوجية"(ج١، ص ٣١٨)، وإن الفراغ في الفكر لا يعني خوائه من الأفكار بل يعني فقدانه للمنهجية الصحيحة في التفكير وفقدانه للمعارف اليقينية والتصورات الصحيحة التي تحقق له الاستقرار الفكري.

كما أن من مظاهر عدم الاتزان الفكري ظهور الإلحاد في أوساط بعض الشباب حيث أشارت نتائج الدراسة الاستطلاعية التي طبقتها الباحثة (العبد الكريم ، ١٤٣٩،ص ٢١٤٧) على ١٧٠ طالبة جامعية بهدف الكشف عن درجة ملاحظتهن لانتشار الإلحاد في الواقع الحقيقي أو الافتراضي ، حيث أجاب ١٣% أنهن يلاحظن ذلك بدرجة كبيرة ، وأجاب ٢٤% أنهن يلاحظن ذلك بدرجة متوسطة، وأجاب ١٣% أنهن يلاحظن ذلك بدرجة ضعيفة، بينما ترى ٤% أن ذلك بدرجة لا تذكر ، وفي ضوء الأسباب السابق بينها جاءت عناية البحث الحالي باستنباط المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي .

أسئلة البحث : يتمثل السؤال الرئيس للبحث في :

ما المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي؟

ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية :

س١: ما خصائص الاتزان الفكري من المنظور الإسلامي ؟

س٢: ما العوامل المؤثرة في تحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات ؟

س٣: ما المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات السعودية ذات الصلة بالجانب العقلي من المنظور الإسلامي؟

س٤: ما المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات السعودية ذات الصلة بالجانب العقدي من المنظور الإسلامي؟

أهداف البحث: يتمثل الهدف الرئيس للبحث في :

توضيح المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي .

ويتفرع منه الأهداف الفرعية التالية :

١- بيان خصائص الاتزان الفكري من المنظور الإسلامي .
٢- بيان العوامل المؤثرة على تحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات .
٣- توضيح المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات السعودية ذات الصلة بالجانب العقلي من المنظور الإسلامي.
٤- توضيح المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات السعودية ذات الصلة بالجانب العقدي من المنظور الإسلامي.

أهمية البحث:

الأهمية النظرية :

إن الاتزان الفكري مقوم مهم من مقومات الشخصية الإنسانية يكفل لها الاتزان العقدي والأخلاقي والسلوكي ويحقق لها الاستقرار النفسي ، وإن المرحلة العمرية للطالب الجامعي مرحلة تتطلب متطلبات تربوية أصيلة في منهجيتها نوعاً وكماً ؛ كي تكفل تحقيق الاتزان الفكري له ،فإن احتياجه له في هذه المرحلة يزداد تأكيداً عن أي مرحلة أخرى؛ تبعاً للنضج العقلي والنمو المتزايد للقدرات العقلية الذي يبلغ ذروته ، ولكونها مرحلة تسبق مرحلة الرشد في الإنسان فهي مرحلة مهمة للغاية ، كما أن التحديات التربوية التي فرضها العصر الحالي من الانفتاح الثقافي على الأفكار الدخيلة وسرعة انتقالها للمتربي وقوة تأثيرها في الطالب الجامعي ؛ جعلت البعض عرضه للاضطراب الفكري والميل عن جادة الصواب ؛ لذا فإن المسؤولية التربوية تحتم على التربية متطلبات تربوية تكفل تحقيق رؤية إسلامية واضحة المعالم للتصورات الفكرية، ومنهجية عقلية للتفكير يتبعها العقل في طريقه للوصول لهذه التصورات ؛ مما يكفل له الاستقامة والاعتدال على الطريق المستقيم ويحميه من الأفكار الضالة والمنحرفة ، ويفي له بمطالب نشاطه الفكري ويحسن توجيهه لما يحقق له الاتزان الفكري .

الأهمية التطبيقية :

١- تكسب المربين والمتربين معرفة بسمات وخصائص الاتزان الفكري مما يسهم في توجيه عنايتهم بتنميتها .

٢- تزود المربين بالمتطلبات التربوية اللازمة لتحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات السعودية ، هذه المتطلبات التي تمتاز بالأصالة تبعاً لأصالة المصدر المستنبطة منه .

منهج البحث : استخدمت الباحثة لتحقيق هدف البحث المنهج الاستنباطي التحليلي الذي عرفه (عناية ، ١٤٢٨) واضعاً له مجموعة من الركائز المنهجية بأنه : " منهج أسلوبه الشرح والنظر، والتفكر ، والتأمل والتحليل ، وهو منهج يستند إلى الأسلوب التحليلي ، السردي ، الشرحي، الاسترسالي ، وهو منهج سنده الاستدلال بالعقل ، والتأمل والتفكر والقياس المنطقي في الاستنباط للوصول إلى النتائج والحقائق العلمية، وهو منهج يقوم على تفكيك القضية إلى أجزائها "(ص٤٢) ، ويعرف المنهج الاستنباطي في ميدان التربية بأنه: "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة" (فوده، ١٤١١، ص٤٢) . حيث عمدت الباحثة لدراسة وتحليل وتفسير النصوص الشرعية لاستنباط المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية ، والتي قسمتها الباحثة لمتطلب عقدي وعقلي.

حدود البحث :

الحدود الموضوعية : يتناول البحث المتطلبات التربوية المتصلة بالجانب العقدي ، والعقلي المنهجي ، اللازمة لتحقيق الإتزان الفكري ، وتتصل هذه المتطلبات بطلاب الجامعات السعودية ، والتي غالباً ما يقع أعمارهم ما بين ١٧سنة كحد أدنى وسن ٢٢سنة كحد أقصى ، وفق سن القبول المحدد في الجامعات السعودية كأدنى حد وأعلى حد للعمر الزمني للطالب الجامعي في مرحلة البكالوريوس ، وهي تقابل نهاية سن المراهقة الوسطى وبداية المراهقة المتأخرة وفق تقسيم (زهران، ١٩٨٦، ص ٣٦٢) لمراحل النمو وخصائصها ، والتي تتسم بخصائص عقلية تتناسب مع عملية تحقيق الاتزان الفكري وسيرد تفصيلها في المبحث الثاني في محور العوامل الذاتية .

مصطلحات البحث الإجرائية :

أولاً : المتطلبات التربوية : يعرفها (خالد ، ١٩٩١) بأنها " شروط قبلية لازمة لتعديل السلوك أو التربية سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة " (ص١١) ، **وتعرفها الباحثة بأنها** : مجموعة من الخبرات التربوية المستنبطة من مصادر التربية الأساسية والفرعية ذات الاتصال بالجانب المعرفي والسلوكي والمهاري والوجداني والتي ترتكز عليها العملية التربوية لتحقيق التنمية اللازمة للمتربي في مختلف جوانب شخصيته .

ثانياً : الاتزان الفكري : إن استخدام مصطلح الاتزان مضافاً للفكر استخدام جديد نوع ما في علم التربية إلا أن الأصل اللغوي للاتزان يفيد سلامة اقترانه بالفكر تبعاً للدلائل المعنوية له في الأصل اللغوي ، فالاتزان في اللغة مشتق من وزن ، وله معاني عديدة تفيد اتصاله بالفكر يمكن توضيحها وفق ما يلي : (الزبيدي ، ١٩٨٤،ج٣٦، ص٢٥٣- ٢٥٤) .

١- القوة والتمكن : يقال أَوزَنُ من غيرهِ : أي (أَقوَى وأَمكَنَ) ، ومنه قَولُ عمارة لثَعلَب : لو قُلتُهُ لكانَ أَوزَنَ . فالفكر المتزن هو القوي في أرائه المتمكن من إدراك الحقائق من مصادرها الأصيلة.

٢- الاعتدال: حيث يقال: اتّزَنَ العِدلُ بكسرِ العَينِ أي :(اعتَدَلَ).

٣- التساوي بين طرفين: وهذا ماورد في بيان معنى (توازَنَا) أي (اتّزَنَا) بمعْنى تساوَيَا ، والفكر إنما يكون متزناً إن اعتدل واستقام على المنهج الرباني ولم يخرج عن حدوده التي أقرها له الشرع لا بإفراط ولا تفريط .

٤- رجاحة الرأي وأصالته: حيث يقالُ : (هو وزِينُ الرّأْي) أي (أَصِيله) ، فالفكر الأصيل هو القادر على ترجيح الأمور وفق معايير ربانية أصيلة .

٥- كمال العقل ورزانة الرأي: حيث يقالُ: هو (راجحُ الوَزنِ) أي كاملُ العَقلِ والرَّأي ، وفي الأساسِ : مَوصوفٌ برزَانَةِ العَقلِ والرأيِ .

٦- القدر المعلوم : حيث يقال (شيءٌ موْزُونٌ) أي جرَى على وزْنٍ أو مُقدَّر معْلُوم ، وذلك لكون الفكر لابد أن يسير تفكيره وفق القدر المقدر في ميزان الشارع سبحانه وتعالى ، فإنما يكون الفكر مضطرباً وغير متزن إن خرج عن المجالات التي لا تطيقها قدراته؛ لذا فإن الله سبحانه وتعالى قدر له مقداراً من العلوم يستطيع عقلها وأغلق عليه قدراً من العلوم لا تطيقها قدراته .

اتضح لنا من خلال بيان المعنى اللغوي للاتزان إمكانية إطلاقه على الفكر ؛ ولقد استخدمه العلماء المعاصرين مضافاً للفكر ، واجتهدوا في بيان المراد منه على أوجه عديدة إلا أنها لا تتعارض فيما بينها ، " فمنهم من يستخدمه كوصف إيجابي لعملية التفكير التي تؤدي إلى نتائج صحيحة ...، ومنهم من يريد بهذا المصطلح المعطيات العلمية التي تُبنى عليها الأفكار الصحيحة ، ومنهم من يريد به الفكر المتوسط بين طرفي النقيض، أو بين الإفراط والتفريط فهو عند هؤلاء مرادف للوسطية " (السعيدي ، ١٤٣٥، ص١٩).

فقد عرف (القويفلي، وعتيبة ، والحلواني ،٢٠١٧) الاتزان الفكري بأنه " الاستقامة ورجاحة الرأي وشدة التعقل ،التي هي نتيجة طبيعية للاعتدال، فهذا المصطلح يلتقي معنى مع الوسطية والعدل في مدلولها ، فهي جميعاً جنس واحد، وخاصية التوازن بين الأمور المتقابلة هي حالة من النسبية بها يتحقق الوضع الأمثل فيقع في كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال

موزون بحكمة ربانية " (ص ٣١٧) ، وهو وفق ذلك وصف للحالة الفكرية بجعل الاتزان مرادف للوسطية والاعتدال ، فهو الفكر المتوسط غير المتشدد الذي ينتج عنه الاعتدال على الطريق المستقيم الموزون بميزان الشارع الحكيم سبحانه وتعالى . كما يعرف (السعيدي ، ١٤٣٥) التوازن الفكري بأنه : " الابتناء على المعطيات الصحيحة في نظري لتكوين الأفكار والاتزان لا يعني صواب الفكرة ، بل صواب طريقة التفكير " (ص٢٠) ، وتتبنى الباحثة ما ذهب إليه السعيدي ، وتسهم في تعريف **الاتزان الفكري** بأنه: وصف لمنهجية التفكير التي يفارق بها العقل الاضطراب والتخبط والعشوائية في طريقه لإدراك وتقدير الحقائق والاختلال في وزن الأمور ، مرتكزاً على معطيات المنهج الرباني ومعاييره في ضبط وحماية وتنمية الفكر الانساني وفق ما يحقق له الاستقامة والاعتدال والثبات والقوة والأصالة الفكرية في بناء تصوراته وتوجيه سلوكه .

ثالثاً : الفكر : يعرفه (السعيدي ، ١٤٣٥) بأنه : " "التصور الإجمالي والتفصيلي لواقع ما من حيث كنهه وعوامل تكوينه ومآلاه وطرق تحسينه وعلاج آفاته."(ص٢٠) ، ويوضح (السعيدي ، ١٤٣٥) المقصود من التصور لواقع ما الواردة في تعريفه بأنه " الواقع الذي يشمل الواقع الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي لمجتمع ما، فكلٌ تصوُّر لهذا الواقع في أي جزئية من جزئياته يعدُّ فكراً ، ولهذا يمكن القول: إن الفكر بهذا المفهوم مشاع بين الناس فكل إنسان لديه تصور لما يحيط به مما ذكرنا، لكن الناس يختلفون في مكانة تصوراتهم باختلاف درجاتهم من حيث حصولهم على المعلومة ونوعية تعلمهم وبصيرتهم، إلى غير ذلك من الفروق الفردية بينهم." (ص٥) . **فالفكر** إذناً تصور كلي وجزئي يتصل بكل ما يحيط بالإنسان ويتعلق بكافة مجالات حياته، ويؤثر في سلامة تكوينه أصالة المرجعية العلمية التي يرتكز عليها الفكر، كما يؤثر فيه القدرات العقلية وعوامل الشخصية الإنسانية وعوامل البيئة الفكرية لمجتمع ما وثقافة ما .

التعريف الاجرائي : في ضوء ما سبق تعرف الباحثة المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات من المنظور الإسلامي

مجموعة من الخبرات التربوية المستنبطة من المنهج الإسلامي ذات الصلة بالجانب العقلي المنهجي ، والعقدي المتضمنة في المناهج الدراسية أو الأنشطة المنهجية واللامنهجية والتي يتوقف على تنميتها تحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات السعودية.

الدراسات السابقة :

أوردت الباحثة الدراسات السابقة ذات الاتصال المباشر بالمتغير الأساسي للبحث والمتمثل في الاتزان الفكري وتوصلت لوجود دراستين يمكن توضيحها وفق ما يلي :

الدراسة الأولى : أثر التوازن الفكري في تنمية التعايش السلمي في المجتمعات العربية . للباحث (عثمان ، والحمداني ، ٢٠١٩) : هدفت الدراسة إلى طرح قضية التوازن الفكري والتي تعني الوسطية والاعتدال وتقبل أراء واختلافات الأخرين والتخلي عن فكرة أن رأي الصحيح ورأي غيري مختل ، ففي ظل التنوع والاختلاف لابد أن يكون هناك أسلوب نتبعه من أجل السلام، وكيفية تنمية ثقافة التعايش السلمي الموجودة أصلاً في الثقافة العربية عبر التاريخ عن طريق الخطاب المعتدل دينياً داخل المجتمعات العربية . أما المنهج العلمي للبحث فلم يتضح للباحثة المنهج العلمي المستخدم في البحث حيث لم يرد بيانه، ولقد توصل البحث لأهم النتائج التالية :

١-يعتبر التوازن الفكري مصطلح جديد لمحاربة الغلو فليس أخطر من التطرف والتعصب وإقصاء الأخرين في المجتمعات المتعددة، وللقضاء على التطرف الفكري والديني والحضاري لابد من اللجوء إلى التوازن الفكري والذي نعني به تقبل الأخرين مع اختلافاتهم.

٢- أن التعايش السلمي موجود أصلاً في الثقافة العربية.

٣-أن التعايش السلمي مسئولية المؤسسات التي تجسد المجتمع فهي ثقافة تبني في الأسرة والمدرسة ودور العبادة والإعلام عن طريق استراتيجية منهجية تدخل ثقافة السلام والتسامح وتقبل الأخرين في شخصية الانسان في المجتمعات العربية .

التعليق على الدراسة السابقة : ووفق ما سبق يتضح أن البحث الحالي يتشابه مع بحث عثمان ، والحمداني في عنايته بالتوازن الفكري ، ويتفق معه في أثره على تحقيق منهج الوسطية والاعتدال وتقبل فكر الآخر دون تطرف يفقد المجتمع أمنه . إلا أن بحث عثمان، والحمداني يقتصر على توضيح أثر التوازن الفكري بين المذاهب الإسلامية في تعزيز ثقافة الحوار بين الأديان والحضارات في المجتمعات العربية، وأثر ذلك في تحقيق التعايش السلمي فهو يربط التوازن الفكري بالتعايش السلمي ، بينما يعتني البحث الحالي ببيان المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي ، ببيان أثره في حماية الفرد والمجتمع من مختلف المشاكل الفكرية ، وتتصل هذه المتطلبات بالجانب العقلي والعقدي .

الدراسة الثانية : الفتوي المنضبطة وأثرها في تحقيق التوازن الفكري في المجتمع للباحث : (قطران ،١٤٤٠):

اهتم البحث بتوضيح أثر الفتوى المنضبطة في تحقيق التوازن الفكري في المجتمع حيث هدف البحث الإجابة على سؤال هل تسهم الفتوى المنضبطة في تحقيق التوازن الفكري؟ واهتم ببيان معنى الفتوى المنضبطة، وسرد آثار الفتوى المنضبطة في تحقيق التوازن الفكري. وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج التي يعتقد أنها ضرورية في مسيرة الفتوى كان من أبرزها :

١- تبني تقسيم الفتوى إلى فتوى ذات شأن عام، وفتوى ذات شأن خاص، وتبني قصر الفتوى في الشأن العام على المؤسسات الجماعية، الشعبية والرسمية.

٢- إن الإفتاء من غير ذي علم أو من غير ذي دراية بالواقع لا سيما في القضايا ذات الشأن العام يؤثر سلباً على المجتمع ويصنع الغلو من حيث يدري أو لا يدري، ويسهم في بلبلة المجتمع وزعزعة التوازن الفكري، والاقتصادي، ويسهم في إذهاب سكينة المجتمع وإشغال الأمة.

٣- إن أهمية ضبط الفتوى، يحتم على الأمة نفي كل من يتصدر للفتوى من غير أهلها، وهذا الأمر واجب شرعي، يجب على الأمة المصير إليه.

٤- إن الفتوى في الشؤون العامة إذا لم يكن لها رعاية للواقع ورعاية لمقاصد الشريعة ومآلاتها فإنها تضر المجتمع، وتذهب به بعيداً وقد تؤثر سلباً في استقرار المجتمع.

٥- إن الفتوى المنضبطة لها أثر كبير في تحقيق التوازن الفكري، فبها تتحقق وحدة الفكرة والمنهج، وتتحقق الوسطية، وتتحقق السكينة، ويتحقق الوعي الشرعي.

التعليق على الدراسة: إن بحث قطران يشترك مع البحث الحالي في معالجة قضية التوازن الفكري إلا أن بحث قطران يهدف لدراسة أثر الانضباط في الفتوى في تحقيق التوازن الفكري ، بينما يهتم البحث الحالي باستنباط المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات من المنظور الإسلامي ، وتوضيح العوامل المؤثرة في تحقيق الاتزان الفكري وإن كان الانضباط في الفتوى متطلب مهم من متطلبات الاتزان الفكري إلا أن هناك عدة متطلبات أخرى منها ما يتصل بالجانب العقدي والعقلي .

المبحث الأول : خصائص الاتزان الفكري من المنظور الإسلامي

اهتم المنهج الإسلامي بتربية الفكر الإنساني من خلال تنمية قدرات العقل وفق منهجية متكاملة ترشده للمنهج الصحيح للتفكير ، وتسهم في تنمية العقيدة الصحيحة والتصورات العقلية الأصيلة في الفكر الإنساني ، والتي يفتقر لها لتحقيق الاتزان الفكري ، وبتتبع الباحثة لمعالم هذه المنهجية التربوية الاسلامية للعقل في النصوص الشرعية التي جاءت على هيئة توجيهات تربوية للعقل ، اهتدت الباحثة لاستنباط بعض من خصائص الاتزان الفكري ومتطلبات تنميته ؛ فمتى ما التزم العقل بهذه التوجيهات واحترز من تلك المناهج العقلية التي حذر منها الإسلام ونبه لخطرها ببيان عواقبها الوخيمة على الفكر والعقيدة والسلوك الإنساني، فإن الفكر سيتمكن من الوصول لدرجة من الاتزان الفكري ، ذلك باعتبار أن الاتزان الفكري تعبير يشير إلى سلامة منهج التفكير الذي يصل من خلاله الإنسان لتكوين تصورات عقلية يقينية عن الوجود والموجود والإنسان والكون من حوله، وتكوين قدر من المعارف والعلوم الأصيلة التي تمكنه من تحقيق الاستقرار العقلي والنفسي والثبات العقدي والسلوكي والقيمي ، وتمكنه من حل كثير من المشاكل الفكرية التي تواجهه وتتصادم مع تصوراته فإن لم يتمكن من فض الغموض المتصل بها فسينتج عن ذلك الاختلال والاضطراب والانحراف الفكري المنعكس على العقيدة والسلوك الإنساني.

ووفق هذا المعنى فإن القرآن الكريم أشار لعدة خصائص يتسم بها العقل السليم في منهجيته تصل به لبلوغ الاتزان الفكري ، ولقد أشار (قطران ، ١٤٤٠) لبعض من صفات الإنسان المتوازن فكرياً حيث يقول : " ننشد المسلم المتوازن فكرياً وهو الذي ينطلق في تفكيره من موازنة منطقية بين المعطيات العقلية المنضبطة بالنص دون أن يتقيد بفهم معين للنص ظني الدلالة ، وننشد فيه الموازنة بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد على اعتبار أن الإنسان كتلة متكاملة تسير بكل حواسها إلى الله ، وننشد فيه القبول بالآخر وفق القواسم المشتركة بين الناس في أبعادها الإسلامية والإنسانية " (ص ٥٦١-٥٦٢) ، وفي ضوء هذه الصفات التي أوردها قطران للاتزان الفكري وفي ضوء معطيات النصوص الشرعية توضح الباحثة خصائص الاتزان الفكري وفق ما يلي :

١-**فكر يتسم بالاعتدال والاستواء على صراط الله المستقيم ويتجنب اتباع السبل الضالة:** قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (القرآن الكريم ، الأنعام، ١٥٣) ، ويوضح (الشوكاني ، ١٤١٤) المراد من الآية "الصِّرَاطُ: الطَّرِيقُ، وَهُوَ طَرِيقُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْمُسْتَقِيمُ الْمُسْتَوِي الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَنَهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ سَائِرِ السُّبُلِ، أَيِ: الْأَدْيَانِ الْمُتَبَايِنَةِ طُرُقُهَا فَتَفَرَّقَ بِكُمْ : أَيْ تَمِيلَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، أَيْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذِهِ السُّبُلُ تَعُمُّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ وَالْمَجُوسِيَّةَ وَسَائِرَ أَهْلِ الْمِلَلِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالشُّذُوذِ فِي الْفُرُوعِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ التَّعَمُّقِ فِي الْجَدَلِ وَالْخَوْضِ فِي الْكَلَامِ" (ج٢، ص٢٠٣) ؛ لكون إتباع هذه الملل والنحل في الظاهر أو الباطن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تفقد العقل الإنساني الاتزان الفكري ؛ لما فيها من تخبط وانحراف فكري وضلالات عقدية وتصورات باطلة تميل بالفكر عن الحق ، فالفكر المتزن إنما يستقي هديه من مصادر الدين الإسلامي الأصيلة ؛ مما يحقق له الاصالة المرجعية والاعتدال والاستواء في بناء تصوراته ومفاهيمه العقلية فيكون على الطريق المستقيم .

٢-**فكر ينتهج المنهجية الصحيحة بتقديم النقل على العقل في إدراك الحقائق وإقرارها** ؛ لكون الحقائق اليقينية الواردة في الوحي سواء المتصلة بالتصورات العقلية عن الوجود والموجود والانسان والكون ، أو المتصلة بالتشريعات الإسلامية لا مجال للعقل للاجتهاد فيها أو الخيرة في إقرارها والامتثال لها قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾

(القرآن الكريم، الأحزاب، ٣٦) ، فتقديم العقل على النقل باستنكار تشريع من التشريعات الإسلامية وإخضاعه لتقدير العقل المجرد في إقرار مدى صلاحه أو فساده ؛ مزلق فكري يوقع الإنسان في الانحراف عن جادة الطريق ؛ لذا حذر الله عباده من استنكار نسخ الله لبعض من الأحكام الشرعية اعتقاداً من العقل القاصر أن المصلحة في غيرها. قال تعالى:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْئَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (القرآن الكريم ، البقرة ، ١٠٦– ١٠٨) ، فالمرتكز الأساسي لنسخ الله بعض من الأحكام الشرعية هو الإتيان بما هو أفضل وأصلح للإنسانية ؛لذا فإن السؤال العقلي الإعتراضي على أحكام الله الشرعية والقدرية يوقع المسلم في مزلق فكري يصل به لرد شرع الله وإبطال العمل به .

٣–**فكر يتسم بالنقد الموضوعي** ، ويتحرى الدقة في القبول أو الرد للحقائق الظنية بنقدها نقداً موضوعياً وفق المعايير الربانية وليس معايير ذاتية وهذا ما يجعله يتسم بالأصالة المرجعية، فلا يقبل العلم إلا بعد نقده نقداً متكاملاً بنقد دلائله ونتائجه ، والتحقق من مصدره امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (القرآن الكريم ، الحجرات، ٦) . فمعايير قبول أو رد العلم لدى الفكر المتزن تخضع لمعايير ربانية مما يجعله موضوعياً يقبل الحق في فكر الآخر وينقد الباطل الوارد فيه امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها"(ابن ماجه ، د.ت ، ج٢ : ص١٣٩٥) .

٤–**فكر يؤمن بنسبية قدراته العقلية** فهو لا يتكلف التفكير في مجالات لا تطيقها قدراته . قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (القرآن الكريم ، الإسراء، ٣٦) ، فإن مفتاح الضلال والميل عن الحق إقحام العقل تفكيره في مجالات ممتنعه عن الادراك كالذات الإلهية والروح وكل ما يتصل بالغيبيات وكافة العلوم التي حرمها الإسلام تبعاً للمفاسد المترتبة عليها وانتفاء المصالح المرجوة منها . فعن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: "مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال: تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره" (الأصفهاني، ١٤٠٨، ج١، ص٢١٦) .

٥-**فكر برهاني** : فهو فكر يشترط قيام الأدلة والبراهين لإقرار الحقائق وتصديقها ، وإصدار الأحكام مهتدياً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القرآن الكريم ،المؤمنون، ١١٧) ، فلقد كفل الله سبحانه وتعالى إقرار كافة الحقائق التي جاء بها الدين الإسلامي ببيان البراهين الواضحة الجلية؛ كي يربي الفكر الإنساني على اليقظة والدقة والمعيارية في تبني الحقائق؛ فيكون في حصانة من التخبط و الاضطراب قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا١٧٤فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا١٧٥﴾ (القرآن الكريم ، النساء، ١٧٣-١٧٥).

٦-**فكر يحقق الحفظ والتنمية المتكاملة المتوازنة لجوانب شخصيته** مراعياً تقديم الأولويات على الثانويات في تقدير أوجه الحفظ وفق الاعتبار الشرعي: فهو فكر ذو أهداف متوازنة يحسن التوازن بين حفظ مصالحه في الحياة الأخرة ومصالحه في الحياة الدنيا من غير غلو ولا تفريط في سلوكه التعبدي والعقدي امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ٧٧﴾ (القرآن الكريم، القصص، ٧٧) ، ولقد وجه الله سبحانه وتعالى عباده لسبل تحقيق هذا التوازن محذراً إياهم من التعلق بزينة الدنيا والانكباب على مطالبها والغفلة عن الاستعداد للأخرة. قال تعالى :﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا٢٨﴾ (القرآن الكريم ، الكهف، ٢٨) ،كما أن الفكر المتزن يحسن الموازنة في تقدير المصالح أو المفاسد حال تعارضها فيقدم ذو الأولوية المعتبرة شرعاً على ما دونها مما يكفل له حفظ المقاصد الشرعية ، فإن " مما يمنح التوازن أهمية إضافية ذلك الترابط القوي وشبه المستمر بين فقه الموازنات وفقه الأولويات ، فنحن لا نستطيع أن نحدد أولوياتنا في أحيان كثيرة إلا بعد أن نوازن بين أمور كثيرة منها: ما سندفعه وما سنأخذه ، وما هو مهم وما هو أشد أهمية ، وما هو عاجل وما هو آجل" (بكار ، ١٤٣٤، ص٥٢-٥٣) . ولن نتمكن من تحقيق هذه الموازنة الصحيحة بين جلب المصالح ودفع المفاسد إلا بميزان العلم الشرعي المتصل بفقه الأولويات كما أطلق عليه علماء الفقه؛ لكونه يرشد إلى مراتب الأعمال والعبادات في الشريعة الإسلامية.

٧-**فكر وسطي في عقيدته وعباداته يوازن بين مختلف جوانب شخصيته** ، ويلتزم بتطبيق التشريعات الإسلامية من غير غلو ولا تفريط يخرجها عن مقصدها الشرعي امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ١٤٣﴾ (القرآن الكريم، البقرة، ١٤٣)، كما قال تعالى محذراً من الغلو في مجال العقيدة : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا١٧١﴾(القرآن الكريم ، النساء، ١٧١) ، فالغلو في الاعتقاد يورث فساد التصورات العقدية وفساد الأقوال والأعمال .

٨-**فكر يجمع بين الأصالة والمعاصرة** : فهو فكر يوازن بين أهمية الحفاظ على الثوابت العقدية والأخلاقية وكافة التشريعات الإسلامية ولا يرضى بغيرها بديلاً، وبين أهمية التطوير والتجديد في جوانب حياته وأوجه المصالح الدنيوية دون أن تتعارض مع الأصول الإسلامية، فهو يطور في الفروع في ضوء الأصول ، فإن الفكر الإنساني الذي يفقد توازنه في الجمع بين الأصالة والمعاصرة يكون إما فكراً متمسكاً بالأصالة مع انقطاعه ورفضه لكل مصادر العلم الجديدة ، أو يكون فكر منقطع الصلة عن الأصول الإسلامية مع انكبابه على العلوم الإنسانية الجديدة منغمساً في تلبية مطالب التقدم والتطور لحياته الدنيا ، فيكون راضياً بغير الدين الإسلامي منهجاً له في الدنيا ؛ مما يورثه الفساد والضلال في المنهج والفكر والعقيدة والسلوك . قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ٨٥﴾ (القرآن الكريم ، آل عمران، ٨٥) .

٩-**فكر يخضع لمعايير ربانية أصيلة في تقدير المصالح والمفاسد الفردية والاجتماعية** ، فلا يقدر المصالح ولا يدفع المفاسد وفق معايير مجرده عن المعايير الشرعية في اعتبارها للمصالح والمفاسد ، كالمعايير الذاتية الخاضعة لتقدير الأهواء قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ٥٠﴾ (القرآن الكريم، القصص، ٥٠) ، فالطريق لتحقيق الفكر الاتزان الفكري والعقدي إنما يكون باتباع المعايير الشرعية في تقدير ما هو صالح وما هو فاسد. قال تعالى:﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ١٥﴾(القرآن الكريم ، الشورى، ١٥)، كما أنه لا يقدر المصالح ولا يدفع المفاسد وفق المعايير الاجتماعية التي يخضع فيها الفكر لمعايير بشرية رائجة في

الحكم على الصالح من العقائد والأخلاق والسلوكيات أو الفاسد منها؛ مما يجعله يعيش في ردهات الضلال والانحراف العقدي والسلوكي، ولذلك نبه الله الفكر أن معيار التقييم للعقائد والأخلاقيات والسلوكيات السائدة في المجتمع ليس المعيار الاجتماعي والأعراف الاجتماعية إنما المعيار الربانى قال تعالى :﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(القرآن الكريم ، البقرة، ١٧٠) . فالحق لا يثبت صحته بكثرة اتباعه لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ"(ابن حنبل، ١٤٢١ ، ج٢٧ ، ص٢٣٧).

١٠-**فكر لا يقدس ذاته باتباع الظن والهوى ، ولا يقدس فكر الأخرين باتباع أراءهم ورفض الحق وبراهينه كبراً وإعراضاً** ، فإن هذا النوع من الاتباع للأخرين يكون عن تقديس الأسلاف مع العلم بالحق ولا يلزم معه الجهل التام، فقد يكون الفكر مدركاً للحق وأدلته وبراهينه إلا أنه معانداً مكابراً متعصباً لمذهب فكري، بينما هناك مظهر أخر لإتباع الأخر يتمثل في التقليد الأعمى الناتج عن الإعجاب بالأخرين مع الجهل بالحق وبراهينه ، وحل ذلك أسهل من النوع الأول تبعاً لاختلاف قوة الدافع ، فالجحود للحق مع العلم به أصعب من الجهل التام به من غير كبر وإعراض عن الأدلة والبراهين. ولكي يحذر الله عباده من سوء عاقبة التقديس لفكر الأخرين ومذاهبهم صور لعباده موقف الأتباع من متبعيهم قال تعالى : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ٢١﴾(القرآن الكريم، إبراهيم،٢١)، كما حذر من اتباع الهوى مع العلم بالحق وبراهينه ؛ لكونه سبب أساسي للضلال الفكري والانحراف عن الهدي الرباني؛ تبعاً لحلول عقاب الله على من اتبع هواه بتعطيل انتفاعه بأدوات العلم . قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ٢٣﴾ (القرآن الكريم، الجاثية، ٢٣) .

١١-**فكر يتسم بالثبات العقدي والسلوكي** : إن الفكر المتزن يتسم بالارتباط الدائم بالمنهج الإسلامى عقيدة وسلوكاً وخلقاً في السراء والضراء فهو دائم التوجه لله أما الفكر المضطرب فهو غير مستقر على معتقد ما ، ولا يحسن الثبات على سلوك تعبدي . وإنما يفقد العقل حالة الاتزان الفكري تبعا لاضطراب عقيدته التي يكون فيها إيمانه بالله إيمان غير طاهر من الموروثات العقدية الضالة ، فالتداخل في الاعتقاد وعدم تبرء القلب من العقائد الفاسدة تجعل الفكر مضطرباً وغير متزن قال تعالى مصوراً حالة الاضطراب الفكري والعقدي للقوم الضالين: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (القرآن الكريم ، لقمان، ٣٢) .

ثانياً : العوامل المؤثرة في تحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات :

إن تحقيق الاتزان الفكري يتطلب عدة متطلبات تربوية ولكي يتم تحديد المتطلبات التربوية بشكل صحيح ومتكامل ومتناسب مع مرحلة المتربي العقلية وخصائصها ، ولكي تكون هذه المتطلبات قادرة على تحقيق الهدف المنشود ، فإنه ينبغي التعرف على العوامل التي تأثر في تحقيق الاتزان الفكري لدى طلاب الجامعات ، سواءً أكانت هذه العوامل تتصل بالطالب أو تتصل بطبيعة البيئة الفكرية لمجتمعه ، فالعوامل المؤثرة قد تكون عوامل لها تأثير إيجابي يسهم في تحقيق أمر ما ، وقد تكون عوامل سلبية تحول دون بلوغ الأثر المنشود سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ؛ مما يفرض ضرورة توجيهها كي لا تترك أثراً قوياً يحول دون تحقيق الهدف المرجو.

ويمكن توضيح أبرز العوامل المؤثرة في تحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية وفق ما يلي:

- **عوامل ذاتية:** ويقصد بها مجموعة العوامل التي تتصل بشكل مباشر بشخصية الطالب الجامعي، ولها التأثير الأقوى على مستوى استجابته لعملية التربية والتنمية والتطوير لقدراته والتوجيه لسلوكياته ، وتتصل العوامل الذاتية التي تأثر في تحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية بخصائص النمو العقلي ومطالبه لدى الطالب الجامعي ، ويمكن تفصيل بينها وفق ما يلي :

عامل خصائص النمو العقلي ومطالبه للطالب الجامعي : إن المرحلة العمرية للطالب الجامعي وفق أنظمة القبول في الجامعات السعودية تمتد بين نهاية فترة المراهقة الوسطى التي تقع من عمر ١٥–١٧ سنة ، وبين فترة المراهقة المتأخرة التي تقع من عمر ١٨– ٢١ سنة ، وتمتاز هذه المرحلة بنمو عقلي له خصائصه ومطالبه التي تميزه عن بقية المراحل العمرية حيث أنه يتسم بعدة سمات وضحها (زهران ، ١٩٨٦، ٣٤٠–٣٦٧) كان من أبرزها ما يلي :

١– يتسم بسرعة نمو الذكاء واكتماله، ويزداد نمو القدرات العقلية وخاصة القدرات اللفظية والسرعة الإدراكية .

٢– اختلاف مظاهر النشاط العقلي حيث تنمو لديه القدرة على الابتكار والجدة والتنوع والفيض في الأفكار: فهذه الخاصية تدفع الطالب الجامعي للتوسع المعرفي والانفتاح العقلي ويكون عقله قادراً على الإنتاج الفكري ، وهذا يتطلب رسم منهجية صحيحة لنقد العلوم والمعارف المكتسبة ، واكسابه معايير تمكنه من انتقاء المعارف والتأكد من سلامة قواعدها وأدلتها قبل أن يضفي بناءً معرفياً جديداً .

٣– ينمو لديه النظرة الجديدة للأشياء والاستجابات الجديدة، ويبتعد عما هو عادي وواضح ويبحث عن طرق شتى وإجابات عديدة محتملة. وترى الباحثة أن هذه الخاصية تتطلب من التربية عناية خاصة بمتطلبات تربوية عقدية وعقلية توجه عملية إعادة بناء الطالب

الجامعي لتصوراته العقلية ، ففي ظل إعادة بناء تصوراته والبحث عن طرق عقلية جديدة ومتنوعه لإدراك الحقائق وتكوين الاستجابات العقلية والسلوكية ، فإنه سيواجه تصورات عقلية تمثل مسلمات عقدية وعقلية لا تخضع للقدرات الإنسانية وغير قابلة للفحص والتمحيص والتحليل العميق كغيرها من التصورات ، مما يتطلب ارتكازه على المصادر الأساسية الأصيلة ذات العلم اليقيني والاكتفاء بالعلم الوارد فيها دون الخوض في مجالات ممتنعة عن الادراك ، فيفقد العقل توازنه الفكري ويقع في الحيرة العقلية والاضطراب والانحراف ، "فاليقين حين يستقر في القلب يثبت أمام الفتن لوضوح الفتنة ومعرفة سبيل النجاة منها أما القلب الذي يضعف عنده اليقين فسرعان ما يضعف أمام الفتنة ويقع في أوحالها ، حتى تصبح المعرفة غير ظاهرة فهو ينكرها مرة ويثبتها أخرى ... فالحق عنده نسبي "(الزعاقي، ١٤٣٧، ص٣٣)، فلكي يكون تصوره الجديد أصيل ومتكامل وصحيح ، فإنه ينبغي أن يزود بمنهجية عقلية أصيلة تربطه بالعلم اليقين وتوجه نشاطه العقلي ليتعرف من خلالها على مصادر العلم الأساسية والثانوية، وطريقة التعامل مع هذه المصادر ، ومجالات العلم المدركة وغير المدركة، حيث أشار (حمداوي، د.ت) أن هذه " الخبرات الجديدة لدى الفرد في هذه المرحلة تسبب اضطراباً أو عدم توازن في بنائه المعرفي في بادئ الأمر ثم لا تلبس أن تنسجم وتتزن مع البناء المعرفي ، وبما أن التوازن حاجة فطرية فإن البنى المعرفية تتغير لكي تتوائم مع خصائص الخبرات الجديدة وبالتالي يحدث الاتزان المعرفي " (ص٤٨).

٤- يستطيع المراهق وضع الحقائق مع بعضها البعض بحيث يصل إلى فهم أكثر من مجرد الحقائق نفسها حيث يسعى للبحث عن ما وراء الحقائق : ووفق هذه الخاصية فإن فكر الطالب الجامعي لديه استعداد عالي للتأكد من مصداقية الحقائق العلمية والكشف عن أسبابها ومسبباتها، ولابد أن يتم استثمار هذا الاستعداد في المجالات العلمية التي تتناسب مع قدراته العقلية وتوجيه فكره للعناية بالمصادر الأصيلة في بيان ما وراء الحقائق الظاهرة كي يتحقق لديه الاتزان الفكري في تبني الحقائق والوصول لحقائق علمية جديدة ، فمجال البحث العقلي فيما وراء الحقائق مجال عقلي دقيق يتطلب منهجية عقلية أصيلة وسليمة في إقرار السبب والمسبب وإقرار حقيقة المدرك العقلي ، حيث أن شطراً كبيراً من المدركات العقلية لا تكمن حقيقتها في ذاتها ، ولا تخضع مادته للإدراك العقلي المجرد ، واندفاع العقل بالبحث عنها بمنهجية عقلية منقطعة الصلة عن المصادر الأصيلة التي كشفت حقيقتها يورث الفكر التخبط والانحلال والانحراف والفساد التصوري ، فكثير من الانحرافات الفكرية منشئها الخوض العقلي فيما وراء الحقائق الظاهرة خاصة ما يتصل بالغيبيات والذات الإلهية والروح .

٥- يزداد ثقة المراهق في خبراته ومعلوماته التي تحصل عليها حيث يرى أن أفكاره جديرة بأعلى التقديرات ويميل للعلم والفلسفة بدرجة كبيرة : إن هذه الدرجة من الثقة العقلية في المعلومات والمعارف التي يصل لها الطالب الجامعي تتطلب توجيه تربوي للطالب بتقييم معياري لقدراته ومعارفه بنقدها وتحليلها في ضوء المعايير الشرعية والعلمية ، حيث أكد (زهران ، ١٩٨٦) أن على المراهق في هذه المرحلة أن يحسن تقدير قدراته العقلية بالحذر من تقديرها بشكل يناقض الواقع أو يفوقه " فالبعض قد يبالغون في قدراتهم والبعض قد ينتقص منها ، وكلما قربت فكرة المراهق عن قدراته العقلية من الواقع ؛ كلما مكنه ذلك من تحقيق ذاته ومن التنمية المتوازنة لكل جوانب شخصيته"(ص٣٤٥) . ولهذا نجد اندفاع بعض الشباب في الانفتاح الفكري على أهل الشبهات والأهواء والتساهل في محاورتهم ظناً منهم أن لديهم قدرات علمية وعقلية كافية لمواجهتهم وهذه الثقة في الذات والقدرات وعدم تقديرها بشكل سليم أوقع البعض في الانجراف وراء تلك الشبهات الفكرية.

٦- ترتفع القدرة على التحليل والنقد للمعارف التي يتعلمها حيث يميل أغلب المراهقين لقراءة الكتب العامة التي تزودهم بالمعلومات والخبرات في ضوء ميولهم واتجاهاتهم الفكرية: وهذه الخاصية تتطلب معايير موضوعية لتوجيه عملية التحليل والنقد للاتجاهات الفكرية التي ينفتح عليها، كي تسهم في تحقيق الاتزان الفكري.

٧- تزداد قدرة المراهق على اتخاذ القرارات والاستقلال في التفكير والحرية في الاستكشاف دون رجوع أغلبهم إلى الأخرين: إن هذا الاستقلال الفكري والحرية الفكرية تشكل خطر أمام وصول الطالب الجامعي للاتزان الفكري إن لم يرتكز على منهجية عقلية أصيلة توضح له قواعد التفكير السليم وتحدد له ضوابط تقييم الأفكار الذاتية والوافدة ، وضوابط تضبط حريته العقلية وتوجه رغبته في الاستقلال وفق المنهجية الإسلامية ، حيث يقول : (عبد المعطي ، وقناوي ، د. ت): "إن المراهق في هذه المرحلة الانتقالية من عالم الطفولة إلى عالم الراشدين يتحدى طفولته في ثقة مطلقة بالذات ويثور على عالم الكبار ويرفع استقلالية مسرفة في وجه التبعية والتسلطية إنها مرحلة الإحساس بالهوية " (ج١، ص ٢٨٩). وإن إحساسه بالهوية يدفعه لتكوينها إما بطريقة تتفق مع الثوابت العقدية والفكرية للمجتمع الإسلامي أو بشكل يتعارض معها حيث "تظهر هوية المراهق بإحدى طريقين: فقد تظهر بطريقة إيجابية في مسؤوليته نحو الجماعة التي ينتمي اليها ... ، وقد ينحرف ويختار الهوية السلبية المضادة للمجتمع " (عبد المعطي، وقناوي، د. ت، ج١،ص ٢٩١)، فلكي يتمكن من التكوين الإيجابي لهويته الفكرية ينبغي على المؤسسات التربوية أن تزوده بالمنهجية العقلية الصحيحة للتفكير وتنمي فيه أدوات اكتساب المعرفة وتغذيه بتكاملية مصادر الاستقاء وترتيبها وفق أولوياتها المعتبرة شرعاً لا أن تفرض عليه تبني المسلمات والثوابت العقدية لأن الفرض دون تحقيق القناعة العقلية تجعل الطالب الجامعي عرضه لطلب الانفكاك منها والتشكيك في مصداقيتها .

٨- تزداد القدرة على الاتصال العقلي مع الأخرين واستخدام المناقشة المنطقية وإقناع الأخرين، وتزداد الواقعية في فهم الأخرين حيث تنمو لديه القدرة على التفريق بين المرغوب والمعقول، وبين الواقعي والمثالي: إن هذه الخاصية تجعل الطالب الجامعي قادراً على تحقيق الاتزان الفكري بالجمع بين الأصالة والمعاصرة دون أن يقع في خطر الانغماس العقلي في أراء الأخرين أو التقليد الأعمى، حيث يكون لديه استعداد عقلي عالي لتقييم شخصية الأخرين وأفكارهم قبل أن ينقاد إليهم ؛ ذلك أن أحسنت التربية تنمية هذه الخاصية بشكل صحيح . حيث يذكر (عبد المعطي ، وقناوي ، د. ت) أن "التوحد بالشخصيات المتميزة في مرحلة المراهقة المتأخرة يعبر عن نقطة مثالية تتعلق بالتقييم الحقيقي للذات"(ج١،ص ٣٠٦) فهو يقيم الشخصيات بتقييم أفكارها فالذي يجذبه بشكل أكبر قوة الفكر إلا أنه يفتقر لمعايير أصيلة يستند عليها في عملية تقيمه كي لا يضطرب ويفقد اتزانه الفكري تبعاً لانقياده لمعاييره الذاتية .

٩- يكتسب مهارات عقلية عديدة ويزداد لديه فهم المفاهيم والقيم الأخلاقية: ووفق ذلك فإن الباحثة ترى أن الطالب الجامعي لديه استعداد عقلي لاكتساب المفاهيم الصحيحة وإدراك مضامينها وفق المنظور الإسلامي وتوجيه الخلل الذي وقع فيها ؛ كي يتمكن من تقعيد قاعدة مفاهيمية صحيحة تحميه من الاضطراب الفكري الناتج عن عدم الادراك الصحيح للمفاهيم الإسلامية .

١٠-يزداد نمو التفكير المجرد والمنطقي، والابتكاري وتزداد القدرة على الفهم والصياغة النظرية، ويتمكن من حل المشكلات المعقدة: إن هذه الخاصية تجعل القدرات العقلية للطالب الجامعي مهيئة لتحقيق التوسع المعرفي والانفتاح الفكري والتفكير في حل المسائل المعقدة بتقدير عدة حلول، وهذا يتطلب توجيه التربية لهذه الاستعدادات وفق ما يحقق له الاتزان الفكري؛ فإن عدم الاستثمار لهذه الاستعدادات يفقد العقل اتزانه وتضمحل طاقته.

١١-تزداد قدرته على القراءة الموسوعية حيث يكون أكثر إحاطة بمصادر المعرفة المتزايدة "حيث أوضحت الدراسات حول قراءات المراهقين في هذه المرحلة ميلهم إلى القراءة المتخصصة والاهتمام أكثر من قبل بالموضوعات السياسية والفلسفية وقراءة كتب حياة الشخصيات التاريخية ورجال الدين والكتب الجنسية "(زهران، ١٩٨٦، ٣٦٧): إن نضج هذه القدرة يتطلب اهتمام التربية بتوجيه الطالب الجامعي لمعايير انتقاء الكتب العلمية الهادفة واكسابه مهارة النقد الداخلي والخارجي للكتب ، والتحليل الدقيق لمضامينها وفق معايير موضوعية؛ كي يتحقق لديه الاتزان الفكري ويكون في مأمن من الانحراف والاضطراب الفكري .

ويضيف (حمداوي، د.ت) على الخصائص العقلية السابقة : " أن الإنسان في هذه المرحلة يكتسب آليات الاستدلال والبرهنة والافتراض استقراءً واستنباطاً ، ويميل الى التفكير الفلسفي والنسقي ، ويجعله هذا كله في توازن تام مع الطبيعة والبيئة التي تحيط به مستخدماً مجموعة من العمليات مثل : التكيف والتأقلم والمماثلة والاستيعاب والتوافق والمواءمة والانسجام"(ص٤٦) ، فهذه الخصائص العقلية تهيء الطالب الجامعي لبلوغ تحقيق الاتزان الفكري الذي من أهم خصائصه أنه فكر برهاني ينحو نحو الاستناد على البرهان والدليل على الحقائق التي يتبناها، كما أن نضج قدرته على التكيف والتأقلم والتوافق والمواءمة والانسجام ؛ تمكنه من المحافظة على اتزانه الفكري في ظل انفتاحه على الثقافات الفكرية المتباينة ، وتجعله قادراً على التعامل مع الاختلاف الفكري دون ميل أو انحراف .

ولأهمية وخطورة هذه المرحلة العمرية أكد (زهران، ١٩٨٦) ضرورة عناية التربية بتحقيق "تنمية شخصية المراهق من كافة جوانبها واحترامه والنظر له كشخصية فريدة وله قدراته الخاصة وميوله واتجاهاته، وتنمية النظرة الى المراهقة أنها مرحلة فرصة هائلة في العمل على اكتمال النضج، والعمل على تكوين فلسفة ناضجة للحياة"(ص٣٧٩).

❖ **عوامل خارجية** :إن من أقوى العوامل الخارجية التي تحيط بالطالب الجامعي المعاصر هي عوامل البيئة الفكرية في العصر الحديث التي شكلت تحدي من تحديات التربية ، فالبيئة الفكرية تعبر عن المؤثرات الفكرية التي تؤثر في بناء فكر الفرد والمجتمع من تصورات تتصل بالعقيدة وكافة عناصر الثقافة في مجتمع إنساني معين ، فهي تمثل مخزون ثقافي للأجيال تستقي منه تصوراتها ومفاهيمها ومبادئها ، وفي الواقع المعاصر أضحت البيئة الفكرية عالمية وليست محلية نتيجة تطور تقنيات الاتصال التي فرضت الانفتاح الفكري الواسع المجال والسريع الانتشار، فاستقاء الأفكار وتبادلها أصبح أمر غير مشروط وغير خاضع لمعيارية معينة؛ مما جعل البيئة الفكرية لمجتمع ما لا تتشكل بعامل ثقافة المجتمع وحده بل تتأثر بالبيئات الفكرية العالمية فهي تتشكل بطريقة تراكمية واسعة المدى ؛ وهذا شكل تحدي من تحديات التربية أوجب عليها أن تسعى جاهدة لاحتضان فكر أبنائها وتوفير بيئة فكرية أمنة لهم في ظل هذا الانفتاح الفكري ، فكلما فقدت هذه البيئة الفكرية ثباتها على المرتكزات الأصيلة في رسم هويتها الثقافية ؛ كلما فقد الفرد والمجتمع اتزانه الفكري وكان عرضه للاضطراب والانحراف ،"فإذا اختل هذا التوازن بأن بعض المجموعات تحاول القفز على مراحل تطور واستقرار البيئة الفكرية، أو بفعل الواقع الجديد من أن البيئات الفكرية في العالم أصبحت أكثر تقارباً وتداخلاً ، فالتأثير أصبح يومياً ومباشراً لمن يمتلك أسباب التأثير على الآخر، سواء من خلال كل وسائل التواصل أو الإعلام الهادف، أو من خلال الحملات الفكرية المنظمة والغزو الفكري لينتج عنه اضطرابات فكرية تسود بعض شرائح هذه المجموعات المتأثرة التي لم تنضج بيئتها الفكرية بعد حسب التسلسل الزمني لتهيئة هذه البيئة بشكل سليم." (آل مرشد ، ٢٠١٣، ص١٦).

فإصلاح البيئة الفكرية عامل ركيز في تحقيق التوازن الفكري ، ولا يعني هذا حجب التنوع الفكري فهذا أمر غير منطقي وغير ممكن، إنما يكون بتنمية العقول الإنسانية وتحسين جودة التفكير وفق منهجية أصيلة تستقى من منظور المنهج الإسلامي الذي تمكن من التعامل مع هذا التنوع الفكري والعقدي باتزان منذ ظهور الإسلام ، فالمجتمع الجاهلي كان يعيش في اضطرابات عقدية وبيئة فكرية ضالة إلا أن المنهج الإسلامي تمكن من تطهير العقائد وتنقية العقول من كل المؤثرات العقدية والفكرية الضالة ، وأشاد مجتمع إسلامي وحضارة إنسانية لم تشهد الإنسانية مثلها في قوة العقيدة والفكر والسلوك . ويمكن توضيح أبرز مؤثرات البيئة الفكرية التي تؤثر على الاتزان الفكري وفق ما يلي :

١- **تطور تقنيات الاتصال وعالمية وسائل الإعلام :**

إن التطور التقني لوسائل الإعلام والاتصال سلاح ذو حدين يطغى فيه التأثير السلبي على التأثير الإيجابي على الطالب الجامعي ؛ ذلك إن لم يتم تحصين فكره بالمنهج الإسلامي ليكون قادراً على حسن توظيف هذه التقنية فيما يحقق له الصلاح والاستقامة على الصراط المستقيم ، وبما يجعله قادراً على مواجهة السموم الفكرية التي يبثها أعداء الإسلام يقول: (العجلان ، ١٤٣٩)" لقد استغل أرباب الانحراف الفكري المنابر الإعلامية لبث سمومهم وشبهاتهم وقد ازداد خطر هذه الوسيلة مع انتشار الفضائيات وتنامي الشبكة العالمية العنكبوتية، حيث نجد المواقع التي تثير الشبهات وتشكك في العقائد وتنشر الانحرافات الفكرية المتطرفة والمنحرفة"(٢٠٨١) ، وإن إطلاع الشباب على هذه الأفكار دون امتلاكهم تصورات عقلية وعقدية إسلامية متزنة مرتكزة على البراهين والحجج الجلية ، ودون امتلاكهم منهجية التفكير السليم أو ضعف بنائها لديهم ؛ سيجعلهم عرضه للتذبذب الفكري وفقدان الاتزان .

٢- **التيارات الفكرية الضالة والمذاهب الفلسفية الفاسدة** والتي انتشرت لدى الغرب وانتقلت للبلاد الإسلامية بعامل الغزو الفكري كالشيوعية والوجودية والعلمانية والعولمة والليبرالية، والتي رفعت شعارات زائفة مبطنة بالسموم الفكرية التي تصور للإنسان حقوق وحريات ومبادئ متوهمة تتعارض مع الحقوق الإنسانية والمبادئ الفكرية الإسلامية وتهدم الكيان الإنساني وتفكك تلاحمه ؛ تبعاً لتصوير المصالح الإنسانية في صور مادية بحته وزائفة ، وللأسف أن جهل الشباب بمقاصدها و ضعف وعيهم بمضامين المفاهيم والمصطلحات التي تبثها أدى بهم للانخداع بها واتباعها سواءً من حيث الفكر والعقيدة أو من حيث المظهر الخارجي السلوكي.

١- ظهور تيارات الغلو الفكري والتطرف الذي نتج عنها التكفير والإرهاب الناتج عن ضعف ارتباطهم بالمنهج الإسلامي ، وعدم فهمهم الدقيق والعميق للنصوص الشرعية ولمقاصدها التشريعية ، وارتكازهم على النصوص الظنية غير القطعية الدلالة والثبوت . قال تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ٧﴾ (القرآن الكريم، آل عمران، ٧) ؛ قال (السعدي، ١٤٢١) في بيان المراد من الآية " ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها حتى تضم إلى المحكم ، فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم يتبعون المتشابه منه فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة طلباً للفتنة وتحريفاً لكتابه" (م١، ص٢٠٨)، فمما أورث البعض الانحراف عن جادة الطريق المستقيم والتطرف في الدين هو إقحام العقل المجرد في فهم النصوص القرآنية والفهم الخاطئ لها والتعدي على دلالاتها بتقديم المتشابهات على المحكمات في تحقيق الفهم لها،حيث يعزو(جوهر، ٢٠١٩) السبب الرئيس للتطرف "أن التطرف الفكري الديني يتحدد في التشدد في الدين غير المستند على نصوص دينية متفق عليها" (ص١٠)، فعماد هذا الفكر المتطرف فقدان الاتزان الفكري في منهج الاستدلال وبناء الأحكام التشريعية على فهم فاسد للنصوص الشرعية .

٣- الانفتاح الثقافي غير المنضبط : إن تعدد الثقافات الفكرية مع تنوع مرجعيتها وعدم أصالتها أنتجت تصورات فكرية فاسدة ومنحرفة ، وفي ظل الانفتاح الثقافي في العصر الحديث تداخلت هذه الثقافات الفكرية وانتقلت للطالب الجامعي بطريقة سريعة ومع ضعف ارتباطهم بالمنهجية الإسلامية وعدم وعيهم الدقيق بتصوراتها الفكرية أدى ذلك لفقد الاتزان الفكري والوقوع في كثير من الانحرافات الفكرية لدى البعض ،حيث أشار (السيف ، ١٤٣٥) في دراسته "إن الانفتاح الثقافي غير المنضبط وبدون خلفية شرعية يسبب كثير من الانحرافات الفكرية كالإلحاد"(ص١٠) ، ومع ضعف الخلفية الشرعية لبعض طلاب الجامعات إلا أن البعض لم يتحرز من اقحام عقله بالاطلاع على الأفكار الضالة والمذاهب المنحرفة، مما أورث تسرب المعتقدات الفاسدة والشبهات الفكرية الضالة لفكرهم ، والبعض منهم أقحم عقله في مرحلة أشد خطورة وهي الحوار والجدل مع أصحاب الشبهات مما أفقدهم الاتزان الفكري وأورثهم الكثير من الصدامات الفكرية التي جعلتهم مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

٤- قصور في اهتمام المؤسسات التربوية سواءً الرسمية منها أو غير الرسمية بتفعيل الحوار الفكري مع الطالب الجامعي الذي يهدف للكشف عن أفكاره ونقدها وتمحيصها وتعديل مسارها وتصحيح الاضطراب والانحراف الواقع فيها بطريقة منهجية صحيحة.

ثالثاً:المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي

تنقسم هذه المتطلبات التربوية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي إلى متطلبات عقلية ومتطلبات عقدية ويمكن توضيحها وفق ما يلي:

- **المتطلبات العقلية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الإسلامي:** تعرف المتطلبات العقلية بأنها: " مجموعة من المهارات العقلية التي تساعد المتعلم على التفكير السليم، والمتضمنة بشكل مباشر أو غير مباشر في المناهج الدرسية التي يحاول المتعلم تنميتها من خلال عملية التدريس" (الجهوية، د.ت، ص٦٤).

وفي الحقيقة إن المتطلبات العقلية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية لا تقتصر على المهارات العقلية بل تتسع لتضم منهجية التفكير الصحيح التي أقرها المنهج الإسلامي، وأكد على ضرورة انتهاجها ليتمكن العقل من تأسيس معارفه وتصوراته عن الحقائق اليقينية، فالعقل الإنساني يفتقر لمنهجية تضبط عمله وتحدد له نطاق نشاطه الفكري وتوضح له كيفية الموازنة بين مصادر العلم و أدواته، كي يتمكن من الاستقامة على الصراط المستقيم والتسخير الأمثل لطاقاته وقدراته العقلية فيما يحقق له الصلاح في الدارين.

فإن الفكر الذي لا ينتهج المنهجية الصحيحة في التفكير يصل لحقائق ظنية للتصورات العقدية، وأفكار علمية فاسدة تجعله غير قادر على رفع الحيرة العقلية مما يجعله مضطرب وغير متزن. ومن أوجه المنهجية العقلية في المنظور الإسلامي التي يحتاجها الطالب الجامعي لتحقيق الاتزان الفكري ما يلي:

المطلب العقلي الأول : تنقية عقل الطالب الجامعي من معطلات الاتزان الفكري :

إن القاعدة التربوية التي يتأكد على التربية مراعاتها لتحقيق الاتزان الفكري للطالب الجامعي قاعدة التخلية قبل التحلية امتثالاً لقوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ٢٥٦﴾ (القرآن الكريم ، البقرة، ٢٥٦) ، فقد أكد الله تعالى على ضرورة تخلية القلب من الكفر ومظاهره وتحقيق الايمان بالله ؛ فالإستمساك بالعروة الوثقى يستلزم تنقية القلب من الكفر و التحلي بالإيمان كي يقع الايمان في موقع طاهر نقي فيتحقق للإنسان الاتزان في كافة جوانبه وكافة شؤونه، حيث ورد في بيان المراد من الآية " ذكر الله انقسام الناس الى قسمين قسم آمن بالله وحده لا شريك له وكفر بالطاغوت وهو كل ما ينفي الايمان من الشرك وغيره فهذا قد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها بل هو مستقيم على الدين الصحيح، ويؤخذ القسم الثاني من مفهوم الآية أن من لم يؤمن بالله بل كفر به وآمن بالطاغوت فإنه هالك هلاكاً أبدياً" (السعدي ،١٤٢١، ج١، ص١٨٨)، ومن أوجه التخلية والتنقية تطهير العقل وتنقيته من المناهج الفاسدة التي تعطل العقل وتقيد طاقاته وتحول دون ادراكه للحقائق اليقينية مما يوقعه في الفتن والانحراف والضلالات الفكرية التي تفقده الاتزان الفكري وتتمثل هذه المناهج الفاسدة فيما يلي:

أ – منهج التقليد الأعمى : إن منهج العقل المقلد في التصديق وتبني التصورات وادراك الحقائق لا يعتمد على أصالة مصدر الاستقاء والتأكد من سلامة الحقائق ، بل يرتكز على اتباع مذاهب الأخرين واقتفاء مشاربهم في اكتساب العلم بلا نقد ولا تمحيص ولا طلب لدليل أو برهان يثبت سلامة علمهم ومعتقداتهم ؛ مما يورثه الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم ويقطع صلته عن طريق الهدية .قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ١٧٠﴾ (القرآن الكريم ، البقرة،١٧٠) ، فهو تقليد أعمى ومحاكاة تامة بغير وعي ولا إدراك لمضامين الأمور والأفعال والأقوال وعواقبها وآثارها، ومدى ملائمتها مع النفس الإنسانية من جهة، ومع مقاصد الشريعة الإسلامية من جهة أخرى ، أما التفاعل الحضاري المثمر فهو تقليد بوعي وإدراك للسياقات الاجتماعية والعقدية للثقافة الوافدة (علي، ١٤٢٥، ص٢٩) .

ب– اتباع منهج الظن والتشكيك في الثوابت الدينية :

يرتكز هذا المنهج العقلي على اتباع العقل للحقائق الظنية بلا دليل ولا برهان وعدم الوثوق بالحقائق اليقينية الثابتة بالأدلة والبراهين القطعية، ورفض اعتبارها ورفض التسليم للثوابت العقدية والمسلمات العقلية التي قامت عليها الأدلة والبراهين الشرعية، وإن اتباع هذا المنهج العقلي يفسد النتائج العقلية والتصورات الفكرية ويجعل الفكر يعيش في حالة من الاضطراب المستمر. حيث وضح (العجلان،١٤٤٠) إن من أبرز خصائص بيئة الانحراف الحاضنة "التشكيك في اليقين والتزهد به وتعظيم الشك والتساؤل الفوضوي والبحث العبثي حيث يشعر الشاب باستخفاف من أي منهج يحمل رؤية يقينية ويشعر أن اليقين ناتج عن ضعف الوارد ونقص الذكاء، والفهم وقلة الاطلاع والثقافة بخلاف الشاك المتوقد ذكاءً وفهماً بما يجعله قادراً على الخروج عن النسق السائد ومحاكمة الأصول اليقينية التي لا يجرؤ عموم الناس على الاقتراب منها لقصور ادواتهم وضعف ملكاتهم"(ص٦٠). ففقدان الفكر الاتزان بين العلم اليقيني والعلم الظني بإخضاع كلاهما لمنهج الشك المطلق يورثه الكثير من الضلال والاضطراب. قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ٣٥وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ٣٦﴾(القرآن الكريم ، يونس ، ٣٥–٣٦). فإن العقل الإنساني يمر عليه حالة من الظن والشك في الحقائق وهذا أمر فطري طبيعي ناتج عن تعدد الأفكار وتباين الآراء في إقرار الحقائق ، مما يعرض الفكر للحيرة العقلية التي تدفعه للشك ، إلا أنه ينبغي عليه أن يتعامل معه بطريقة منهجية صحيحة لا أن يتخذه منهجاً له في إقرار الحقائق الظنية واتباعها حيث يوضح (الفريح، ١٤٣٧) " أن أسباب الضلال في العقائد كلها إنما تأتي على الناس من فساد التأمل وسرعة الإيقان وعدم التمييز بين الدلائل الصائبة

والدلائل المشابهة وكل ذلك يفضي للوهم المعبر عنه بالظن السيء " (١٠٩)، ولقد وجه المنهج الإسلامي العقل لكيفية التعامل مع هذه الحالة العقلية بطريقة منهجية متكاملة تتمثل في جعل الشك في المنظور الإسلامي على نوعين : شك منهجي مؤقت محمود لا يتصل بالثوابت العقدية التي قامت عليها البراهين والأدلة ، إنما موضعه العلم الظني الذي لم يثبت بدليل ولم يقف العقل على براهينه ، مما يدفع صاحبه لطلب العلم اليقيني القائم على البراهين والأدلة ، ويستلزم ذلك تخلية العقل من التسليم لمعتقد ذاتي أو مذهب فكري حول قضية ما حال طلب البراهين والأدلة عليها ، فهو يضع فروض للحقائق لكن لا يرجح أي منهم بشكل مسبق ، ومثاله قصة إبراهيم عليه السلام في إثبات الربوبية والالوهية لله تعالى قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ٧٩﴾ (القرآن الكريم ، الأنعام،٧٥-٧٩) ، فقد ورد في بيان المراد من ملكوت السموات والأرض ما ذكره (الشوكاني، ١٤١٤) في تفسيره للآية حيث قال : "الْمُرَادُ بِمَلَكُوتِهِمَا الرُّبُوبِيَّةُ وَالْإِلَهِيَّةُ، أَيْ نُرِيَهُ ذَلِكَ، وَنُوَفِّقَهُ لِمَعْرِفَتِهِ بِطَرِيقِ الِاسْتِدْلَالِ الَّتِي سَلَكَهَا... قَوْلُهُ: وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ مُتَعَلِّقٌ بِمُقَدَّرٍ: أَيْ أَرَيْنَاهُ ذَلِكَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ "(ج٢، ص١٥٢)، فالمنهج الإسلامي يقدر حاجة العقل للاستدلال على الحقائق التي يأمر بالإيمان بها ؛ لعلمه أن طلب العقل للبراهين والأدلة يصل به لمرتبة العلم اليقيني ويحقق للعقل الاتزان الفكري ؛ تبعاً لانتفاء تعلق الحقائق في غير ما أثبتته الأدلة والبراهين القطعية ؛ مما يوثق الاعتقاد بها ويلزم الجوارح بموجباتها، فالشك هنا لا يتصل بالمعارف القطعية الثبوت إنما بالمعارف الظنية ، فلكي يتيقن إبراهيم عليه السلام من سلامة عقيدته ويثبت فساد عقيدة قومه ليكون قادراً على محاجتهم ؛ فإنه توجه بعقله وحواسه لتتبع صفات الأجرام السماوية التي كان يتخذها قومه آلهة لهم ؛ فحينما تجلت له دلائل فساد انطباق صفات هذه الأجرام السماوية على صفات الإله ، تيقن قلبه بسلامة عقيدته وتوجه بكامل عقله وقلبه وكافة جوارحه للتسليم بالألوهية والربوبية لله تعالى. حيث يذكر الشوكاني في بيانه للآية :"قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ أَيْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَجْعَلُونَهَا شُرَكَاءَ لِلَّهِ وَتَعْبُدُونَهَا...، قَالَ بِهَذَا لَمَّا ظَهَرَ لَهُ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مَخْلُوقَةٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ مُسْتَدِلًّا عَلَى ذَلِكَ بِأُفُولِهَا الَّذِي هُوَ دَلِيلُ حُدُوثِهَا، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ أَيْ قَصَدْتُ بِعِبَادَتِي وَتَوْحِيدِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ"(ج٢، ص١٥٣)، فغاية إبراهيم عليه السلام لم تكن الشك المطلق إنما الشك المنهجي الذي يصل من خلاله لإقرار الحق بالبراهين والأدلة القطعية ، يقول (الجاحظ، د.ت) في ثمرات الشك

المنهجي المحمود: "فاعرف مواضع الشك وحالتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف عن إصدار الأحكام ، ثم التثبت من الحقائق ؛ لكان ذلك مما يحتاج إليه ...فلم يكن يقين قط حتى كان قبله شك ، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك" (ج٦، ص٣٤) ، فهذا النوع من الشك فطري إلا أن النوع الثاني من الشك ، فهو الشك المذموم المستمر المطلق الذي لا ينقطع بظهور الأدلة والبراهين ، فحالة الاضطراب العقلي المستمرة تدفع صاحبها لتغليب اتباع الظن على الحق الثابت فيتخذه منهجاً له يرفض به الايمان بالحقائق الممكنة عقلاً ونقلاً . فلقد وجه المنهج الإسلامي العقل الإنساني لكيفية التعامل مع الشك والظن في الحقائق من خلال تفنيد الفروض العقلية ودحض كل فرض لا يستند على دليل وبرهان قطعي الدلالة والثبوت، "فبواسطة الفروض التي توضع على محك التجربة والاختبار وتحول هذه الوساوس والشكوك والشبهات إلى لبنات في الصرح الإنساني العلمي يطلع بواسطته على اليقين" (المرزوقي، أبو حسين ،١٩٩٩،ص٢٢٢).

ج- إثار الشهوات والأهواء : إن من أقوى معطلات العقل الإنساني والتي توقعه في كثير من الانحرافات وتفقده اتزانه الفكري في بناء تصوراته وتوجيه معتقداته وسلوكياته إثار الشهوات والأهواء على الحق والهداية الربانية ، فمن سيطرت عليه شهواته وأهوائه فسدت عليه قواه العقلية والعقدية . قال تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ٥٠﴾ (القرآن الكريم ، القصص ، ٥٠).

فإن الاتزان الفكري يتطلب ضبط الانسان لأهوائه وشهواته وفق المنهج الإسلام ، وأن يحذر من سيطرتها عليه التي تدفعه للاعتراض على التشريعات الإسلامية ومحاولة استبدالها بما يتفق مع هواه قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا٢٧﴾ (القرآن الكريم ، النساء، ٢٧) ، فالله سبحانه وتعالى يحذر من اتباع الهوى والملذات والشهوات؛ لكونها منهج الميل والانحراف عن الحق ، فلا سبيل للاتزان الفكري على الصراط المستقيم إلا بضبط الهوى والحذر من أهل الأهواء قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ١٨﴾ (القرآن الكريم، الجاثية، ١٨) .

د- إتباع خطوات الشيطان : حذر المنهج الإسلامي الإنسان من إتباع الشيطان ؛ لكونه عدو ماكر به ، ولقد كشف الله عن أخبث أساليبه في كتابه العزيز كي يحمي الإنسان منه ومن اتباع خطواته ، فمن أساليبه تزين الباطل من الأقوال والأعمال والمعتقدات وتصويره في صورة الحق وقلب المفاهيم الفكرية للإنسان؛ مما يوقعه في الضلال والانحراف ويفقده الاتزان الفكري الذي يؤثر على اتزانه العقدي والسلوكي . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي

الْأَرْض حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ١٦٨إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ١٦٩﴾(القرآن الكريم ، البقرة، ١٦٨-١٦٩) . قال (الشوكانى، ١٤١٤) فى بيان المراد من قوله ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: "السُّوءُ: الْقَبِيحُ، وَالْفَحْشَاءُ: التَّجَاوُزُ لِلْحَدِّ فِي الْقُبْحِ ... وقوله: وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُون : كُلِّ مَا قِيلَ فِي الشَّرْعِ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (ج١ ، ص١٩٣) ، فالشيطان يلج للعبد من مداخل فكرية متعددة وبشكل متدرج ، فيبدأ من مدخل تغير دلالات المفاهيم الفكرية فيغير معانيها ويطمس مقاصدها الربانية، فإن تغيرت المفاهيم عمد لتغير التصورات العقلية المتعلقة بها ، فيزن الباطل ويصوره فى صورة الحق ويعلق مصالح وهمية به ، فيعتقد العبد أن النفع والصلاح فيها فيتبعها، فيصل العبد للقبيح من الأقوال والأعمال والمعتقدات التى تخالف الحق فيقع فى إباحة المحرم وتحريم المباح و ينسب للدين ما ليس منه ، وهذا كله مظهر من مظاهر اضطراب الفكر وفقدانه منهج الاتزان بإتباع منهج الشيطان وما يزينه ، فلو تأملنا فى واقع الأفكار المنحرفة الضالة لوجدنا أن منطلق الضلال والانحراف فيها ناتج عن فساد الإدراك للمفاهيم الشرعية والعقلية ، وفساد التصورات الفكرية المتصلة بها ؛ نتيجة إتباع ما يبثه شيطان الإنس والجن من مفاهيم وتصورات فاسدة ؛ ولذا فإن عملية الإصلاح الفكرى لابد أن تبدأ بإصلاح المفاهيم الشرعية والعقلية والتصورات الفكرية وتطهيرها من الفساد والضلال الواقع فيها ، فبقائها فى الفكر يعطل قدراته ويحجب الحق عنه مهما سيقت له الأدلة والبراهين " فيجب عدم الخلط بين القضايا التى لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع فالجهاد والأمر بالمعروف والولاء والبراء ونحوها كلها لها أصول عقدية معتبرة شرعاً بأدلتها من الكتاب والسنة ، ويجب بيان الخطأ فى تفسيرها وفهمها وعدم الخلط بينها وبين العنف والإرهاب والغلو، فإن بين هذه المصطلحات والمسائل وعدم بيانها أدى الى التباس الأمور على كثير من الناس والى تعاطف آخرين مع من سلكوا منهج الغلو والتطرف " (البدر ، ١٤٣٠، ص٦٣).

فالاتزان الفكرى يتطلب عدم خضوع العقل لهذه المعطلات التى تضعف قواه وتجعله يميل عن الحق باتباع الباطل والاحتكام لمعايير الأهواء الذاتية ومعايير الشيطان وأهل الضلالات والفتن والشهوات .

المطلب العقلي الثاني: تزويد الطالب الجامعي بالمنهجية الصحيحة لفهم النصوص الشرعية :إن فقدان الطالب الجامعي لمنهجية التعامل مع النصوص الشرعية يوقعه في انحراف عملية الفهم والاستدلال والاستنباط منها ويوقعه في القول على الله بلا علم ولا هدى ، فليس للعقل الاستقلال في تحقيق فهم النصوص الشرعية بالجهد الذاتي المجرد عن جهود العلماء المختصين من أهل التفسير والبيان الذين اجتهدوا في بيان المراد من الآيات الشرعية وفق منهجية دقيقة ترتكز على الجمع والضم للآيات المتشابهات وتفسيرها في ضوء المحكمات ، وفي ضوء ماورد من بيان النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين عاشوا في عصر التنزيل وكان لهم العلم بمقاصد التشريعات وأسباب النزول ومناسبات الآيات والناسخ والمنسوخ منها ، واتقنوا تفسير الألفاظ وفق السياق المعنوي الوارد في الآيات.

فعلى الطالب الجامعي أن يتقن منهجية فهم النصوص الشرعية بالاستناد على جهود علماء التفسير من أهل السلامة العقدية والمنهجية السليمة في التفسير والبيان ، وأن يحذر من أهل التأويل الفاسد الذين برزوا مرة أخرى في عصرنا الحالي وأوقعوا الكثير في الضلالات الفكرية الناتجة عن تأويلهم الفاسد للنصوص القرآنية بإخضاع النص القرآني لعقولهم المجردة ، وتحريف معانيه وفق ما يخدم أهوائهم الضالة ، فالتأويل الفاسد " هو اصطلاح كثير من المتأخرين– من المتكلمين– أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل النصوص، وهو الذي يرفضه أتباع السلف الصالح قديماً وحديثاً، لأنه يؤدي إلى القول على الله بغير علم" (جامي علي ، ١٤٠٨،ج١ ، ص٦٣) ، فالمفسر إنما يحتاج لفهم الألفاظ القرآنية وفق السياق المعنوي الذي ورد فيه اللفظ ، وبحمل الآيات المتشابهات وتفسيرها في ضوء المحكمات ، لا كما يظن أهل التأويل الفاسد بأن اللفظ له معنى عام مطلق لا يختلف باختلاف السياق الذي يرد فيه ، وأن تأويل اللفظ ينبغي أن يكون وفق ما يقدره العقل لا النقل ،" فالتأويل في اصطلاح المتكلمين إنما يعني اتخاذ العقل أصلاً حتى يكون النقل تابعاً له، فإذا ما ظهر تعارض بينهما – في زعمهم– فينبغي تأويل النص حتى يوافق العقل"(جامي علي،١٤٠٨،ج١، ص٦٣)؛ فهذا المنهج الفاسد في فهم النصوص القرآنية يجعل صاحبه عرضه للتقول على الله بتغير أحكامه ومقاصده ، فيبني الفكر عقيدته وعلمه على حكم عقلي فاسد ما أنزل الله به من سلطان ؛ ووفق ذلك فإنه ينبغي على الطالب الجامعي أن ينتهج المنهج الصحيح في فهم النصوص الشرعية بالاستناد على جهود علماء التفسير، فإن تفسير النصوص الشرعية بالرأي المجرد توقع الإنسان في أمرين كلاهما أخطر من الأخر الأول أن يفتري على الله الكذب تبعاً لتغير مراد الله أو أن يقع في تكذيب الهدى الوارد في الآيات . قال تعالى :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ٢١﴾ (القرآن الكريم ،الأنعام، ٢١)، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ٣٣﴾ (القرآن الكريم، الأعراف، ٣٣) . حيث "يدخل في القول على الله بغير علم تحريف نصوص الكتاب والسنة في الصفات وغيرها، فإن الإنسان إذا حرف نصوص الصفات...فقد قال على الله مالا يعلم من وجهين: الوجه الأول: أنه نفي الظاهر بلا علم ، والثاني: أثبت لله خلافه بغير دليل ، فهو يقول: لم يرد الله كذا، وأراد كذا، فنقول: هات الدليل على أنه لم يرد، وعلى أنه أراد كذا! فإن لم تأت بالدليل فإنك قد قلت على الله ما لا تعلم. " (ابن عثيمين ، ١٤١٩، ج١ ، ص٣٧٣) .

المطلب العقلي الثالث : اكساب الطالب الجامعي التوازن بين مصادر الاستقاء العلمي والأصالة المرجعية :

إن من أهم ما يحقق للطالب الجامعي الاتزان الفكري هو التوزان بين مصادر الاستقاء العلمي بالحذر من الارتكاز على مصدر من المصادر وإغفال الأخر، وبالحذر من تقديم المصادر الثانوية على الأصلية، فإن مصادر العلم في المنهج الإسلامي تنقسم إلى قسمين مصادر أصلية أساسية، ومصادر ثانوية، فأما المصادر الأصلية الأساسية فتتمثل في الوحي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية التي تزود العقل بالمعارف اليقينية التي تتصل بالحقائق الغيبية والسنن الكونية والشرعية، والتشريعات العقدية والتعبدية والأخلاقية والأنظمة التشريعية للحياة الإنسانية، وأما الثانوية فهي العقل والحواس وبالرغم من كونها ثانوية إلا أنه يفتقر إليها ويستعان بها لتحقيق تمام الادراك لما ورد في الوحي من حقائق واشارات علمية وادراك المعارف الدنيوية البسيطة واكتساب التصورات المبدئية عنها، فقد أجمل ابن تيمية طرق اكتساب العلم في ثلاث مصادر:"إحداها الحس الباطن والظاهر وهو الذي يعلم به الأشياء الموجودة بأعيانها، والثانية : الاعتبار بالنظر والقياس، والثالثة : الخبر"(ابن تيمية ، د.ت ، ج٧ ، ص٣٢٤)، وإن الاعتبار الشرعي لهذه المصادر الثلاث إنما هو كائن بترتيبها وفق مرتبة العلم الذي تفيده فيقدم الوحي على العقل والحواس بشكل مطلق في المنهج الإسلامي ؛ لكونه يفيد العلم اليقيني تبعاً لأصالة مصدره الرباني، ثم يأتي العقل وهو مصدر ثانوي يتوقف سلامة نتائجه على سلامة منهجيته التي تفتقر لتوجيهات الوحي، ثم تأتي الحواس كمصدر ثانوي يعلو عليها العقل والوحي ، فالحوس أضعف المصادر في درجة العلم الذي تفيده ؛ لكونه مصدراً غير معياري لإدراك واثبات الحقائق التي لا تكمن حقيقتها في ذاتها؛ تبعاً لقصورها وشدة تأثرها بالعوامل الداخلية والخارجية للإنسان، إلا إنه لا يمكن إقصائها،"فإن أدوات الإدراك الباطنة مرتبطة بأدوات الإدراك الظاهرة . إذ لا يمكن للعقل أن يؤسس قضية كلية مالم يكن قد تعرف قبل ذلك على جزيئاتها، ومعلوم أن طريقه الوحيد إلى التعرف على هذه الجزيئات هو الحواس"(الجيلند، ١٩٩٩، ص٢٣) ، فلا يصح إهمال المعرفة الحسية المتعلقة بالعالم الحسي ؛ لكونها مسؤولة عن إدراك آيات الآفاق والأنفس التي توثق الإيمان بآيات الوحي وترشد العقل لإدراك مضامينها. فمرتبة العلم الذي يحصل بواسطة العقل والحس هو مرتبة العلم الظني فهما يفتقران لتوجيهات الوحي ولضوابط شرعية دقيقة تضبط عملهم وتوجهه الوجه الصحيحة ، فما تصل إليه من نتائج لابد أن يتم تقيمها في ضوء معطيات الوحي ،كما أن مجالات العلم التي تخضع للعقل والحواس مجالات محدودة ،فالمنهج الإسلامي حقق التوازن بين هذه المصادر فخاطب العقل والوجدان ووجه الحواس لمجالات معرفية تستدل من خلالها على الحقائق الواردة في الوحي .

وإن من مظاهر عدم التوازن بين مصادر الاستقاء العلمي والتي تؤثر سلباً على تحقيق الاتزان الفكري مظهرين: يتمثل الأول في الارتكاز على القرآن الكريم وترك السنة النبوية، ويتمثل الثاني بتقديم العقل والحواس على الوحي؛ مما يفقد الفكر التناسب بين مجال المعرفة وبين المصدر المستقى منه، وكلا هذين المظهرين مناهج عقلية فاسدة تفقد الفكر اتزانه وتوقعه في الضلال والانحراف الفكري، ويمكن توضيحها وفق ما يلي :

المظهر الأول : الارتكاز على القرآن الكريم وترك السنة النبوية : إن هذا المنهج الفكري ضال وفاسد وفيه تعطيل لشطر كبير من الوحى الإلهى وتكذيب به وانتقاص بإيمان الفكر الإنساني قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا٥٩﴾ (القرآن الكريم ، النساء: ٥٩)،فطاعة الله تستلزم طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ،ولا إيمان لمن لم يحقق الجمع بينهما ، حيث فسر(الشوكاني ،١٤١٤) المراد من أمر الله بالرد لله ولرسول حال التنازع والتخاصم في الأمور الدينية والدنيوية أن "الرَّدُّ إِلَى اللَّهِ: هُوَ الرَّدُّ إِلَى كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: هُوَ الرَّدُّ إِلَى سُنَّتِهِ الْمُطَهَّرَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَأَمَّا فِي حَيَاتِهِ فَالرَّدُّ إِلَيْهِ: سُؤَالُهُ، هَذَا مَعْنَى الرَّدِّ إِلَيْهِمَا" (ج١،ص٥٥٦)، فلا يسع فكر مؤمن متزن أن يفرق بينهما وإلا كان فكراً ضالاً مضلاً متبعاً للهوى ، فلقد بث أتباع هذا المنهج الفكري في عصرنا الحالي الكثير من الشبهات الفكرية حول السنة بهدف تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية و إتباع أهوائهم ، ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المنهج الضال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَلاَ هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ " (الترمذي ، ١٩٩٨، ج٤، ص٣٣٥) ، فقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن ما في سنته هو كما في كتاب الله سبحانه وتعالى ، فلا تعارض بينهما لا في ظاهر الأحكام ولا باطنها . إلا أن أصحاب الفكر المنحرف يبتغون إقصاء السنة التي شرحت ووضحت ما أُجمل في القرآن الكريم ابتغاءً للفتنة الناتجة عن اعتمادهم على عقولهم القاصرة وأهوائهم في تقدير مراد الله وشرعه فيَضِلوا ويُضِلوا ، فلا طريق لتحقيق الاتزان الفكري على طريق الهداية الربانية إلا بالجمع بينهما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض" (الحاكم النيسابوري ،١٤١١،ج١ ، ص ١٧٢) ، فمن أوجه رد السنة ترك العمل بها مطلقاً والاكتفاء بالقرآن الكريم ، كما أن هناك منهجاً آخر من مظاهر رد السنة وضعف التسليم بها تتمثل في رد بعض منها ، فيضع الفكر الضال شروطاً وقيوداً على سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفق مع شروط قبول الأحاديث التي أقرها الصحابة رضى الله عنهم وسَار على نهجهم كبار علماء الحديث، إنما هي شروط وقيود تتناسب مع نسبة الشك والهوى التي أُبتلي بها قلب الفكر الضال ، فمنهم من "يشترطون في السنة أن

تكون قطعية الدلالة أو قطعية الدلالة والثبوت أو مجمعاً عليها بين العلماء أو لا تكون معارضة للعقل أو للمصلحة "(العجلان ، ١٤٤٠، ص١٣٣)، ومنهم من يرد خبر الآحاد ، ومنهم من يطعن في سلامة علم الصحابة رضى الله عنهم الناقلين للأحاديث ، ومنهم من يشكك في علماء كتب الصحاح ، وكل ذلك من مظاهر فقدان الاتزان الفكري واضطرابه وفساد منهجه الموقع لصاحبه في أودية الضلال والشبهات الفكرية ، ففي الحقيقة إن الفكر الضال الذي يرفض السنة ويكتفي بالقرآن الكريم نجده يناقض نفسه ويرد على فكره المضطرب بعمله بما ورد في السنة ، فهو يستند عليها في منهجية تطبيقه لما ورد في القرآن الكريم بالرغم من إعراضه عنها إلا أنه لا يستطيع الانفكاك عنها مهما حاول ؛ لكونها لا تتعارض مع القرآن الكريم .

أما المظهر الثاني من مظاهر عدم التوازن بين مصادر الاستقاء العلمي فيتمثل في تقديم العقل والحواس على الوحي بإخضاع المعارف اليقينية لمعايير العقل والحواس فما يتم إدراكه بواسطتهما يؤمن به، وكل ما يحيله العقل ولا تثبته التجارب الحسية يرفضه ويكذب به ؛ مما يفقد الفكر الأصالة المرجعية في بناء التصورات الفكرية ،فإن هذا المنهج الفاسد يفقد الفكر اتزانه ويجعله مقدساً لعقله وحواسه مرتقياً بهما لمرتبة لا تليق بهما إنها مرتبة العلم اليقيني الذي لا يثبت بالعقل المجرد ولا بمطلق الحواس، وفي هذا كله إقصاء للفكر عن إدراك الحقائق الغيبية والتشريعية وإنكار للوحي؛ ليكون علمه كله مقتصراً على علوم الدنيا وغاياته متصلة بها ، مما يجعل تصوراته عن الدار الدنيا والأخرة مضطربة و معارفه فاسدة ، وخاصة عن تلك الحقائق الغيبية والسنن الكونية والشرعية التي لا سبيل لتحقيق الاتزان الفكري في إدراكها إلا من خلال الوحي .حيث يذكر(السعيدي ،١٤٣٥)" إن من أسباب الاضطراب الفكري اعتبار العقل مصدرًا للتصورات، فإننا نجد أن هناك فئة تقيم تصديقاتها على تصورات مصدرها العقل، والحقيقة أن كل تصور مصدره العقل ليس له وجود خارجي حقيقي فهو إما متخيل وإما موهوم، وبما أن التصديقات–ومن ثم الأفكار–تعد التصورات هي لبناتها، فإن كل تصديق مبني على تصور موهوم أو متخيل لا يمكن أن ينتج عنها أفكار متزنة."(ص٣١).فمنهج السلف الصالح كان منهجاً فكرياً متزناً من حيث الوقوف عند حدود النص، وعدم خوض العقل فيما لا طاقة له بعلمه ، فقد أحسنوا تقدير مصادر العلم وأنزلوها مرتبتها التي تليق بها "فهذا دليل من أقوى الأدلة على عمق فهمهم وقوة ذكائهم وحرصهم على ما ينفعهم في دينهم ، به يظهر صدق متابعتهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام، وحرصهم على إقامة سنته والبعد عن ما يكدرها، فقد علموا أن العقل من أكبر نعم الله على عباده وأن الله جعله عوناً لصاحبه وربط الله به كثيراً من القضايا ونوّه به وبعلو شأنه، ولكن السلف مع هذا يعلمون علم اليقين أن العقل له حد ينتهي إليه فإذا تجاوزه انقلب إلى الجهل والحمق...،وأن تكلف الأمور التي لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق النص يعتبر تعدياً وظلماً وقد يجر إلى القول على الله بغير علم"(عواجي،١٤٢٢، ج١، ص١٤٢)، فلا سبيل لتقديم العقل على النقل ولا سبيل لإقصاء السنة النبوية عن القرآن الكريم إلا سبيل الفساد

والضلال واختلال ميزان الفكر وفساد الأقوال والأعمال والمعتقدات، تبعاً لفقدانه الأصالة المرجعية في بناء التصورات العقلية ،ووفق ذلك فإنه يتعين على التربية تعريف الطالب الجامعي بمجالات التفكير التي تتناسب مع طاقات العقل وقدراته، وتوثيق اتزانه المنهجي بين مصادر الاستقاء المعرفي ببيان مرتبة كل مصدر والمجال العلمي الذي يتناسب معه ومرتبة العلم الذي يفيده .

فلقد تبين من خلال توضيح العوامل الذاتية التي تؤثر على الاتزان الفكري لدى الطالب الجامعي أنه ينمو لديه الاتجاه نحو إعادة بناءه الفكري بشكل جديد ومنظم ومتكامل و مستقل فكرياً ، وبطريقة أكثر عمقاً عن تلك التصورات التي اكتسبتها خبراته المعرفية سابقاً ، هادفاً إعادة تكوين هويته الفكرية الخاصة به ؛ فلكي يكون تصوره الجديد أصيل ومتكامل وصحيح ، وفي سلامة من نقد التصورات العقلية التي تتصل بالمسلمات العقدية والثوابت الشرعية ، فإنه ينبغي أن يزود بهذه المنهجية العقلية الأصيلة ، فإن عدم تزويده بها وتنميتها عليها سيعرضه لفقدان الاتزان الفكري .

المطلب العقلي الرابع : تحقيق العلم اليقيني والتصورات الصحيحة بالأدلة والبراهين : لقد أشارت الباحثة أن من العوامل المؤثرة على الاتزان الفكري لدى الطالب الجامعي اكتسابه آليات الاستدلال والبرهنة ، واعتماده على البراهين والأدلة في اكتساب تصوراته الجديدة والحكم على تصوراته القديمة والحقائق التي يؤمر بتصديقها، وإن هذا الاستعداد العقلي لابد أن يتم تنميته والوفاء بمطالبه كي يثمر الاتزان الفكري ، فعلى التربية أن تعي بأن ما يعد من المسلمات والثوابت العقدية والعقلية في المنهج الإسلامي ليس بالضرورة أن يكون من المسلمات لدى الطالب الجامعي وخاصة في عصرنا الحالي ؛ تبعاً لتداخل الثقافات الإنسانية والانفتاح الفكري الذي أدى إلى عالمية الأفكار الضالة والمعتقدات الفاسدة، وتسربها بشكل سريع وقوي لفكر أبناء الأمة الإسلامية ؛ مما يحتم على الجامعات العناية بجودة عملية إكساب الطالب الجامعي التصورات العقلية الصحيحة وخاصة عن الأمور الغيبية والثوابت العقدية والسنن الكونية والشرعية فإن التصورات الصحيحة تعد مفردات للتفكير المتزن ، فلا بد من تقديمها بطريقة مقنعة مقترنة بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية منها ، والحذر من الاكتفاء بالدليل والبرهان النقلي دون العناية بالجمع بينه وبين الأدلة والبراهين العقلية ، فكل حقيقة من حقائق الوحي لها دليل عقلي كما لها دليل نقلي؛ " فما من قضية عقدية ساقها القرآن الكريم إلا وقرنها بدليل صدقها وبرهان يقينها القطعي في دلالته ، فيجب على كل باحث ألا يغفل عن التنبيه إلى ما يحتويه النص القرآني من برهان عقلي يتصل بالموضوع الذي يتحدث عنه ، ونخص هنا ما يتصل بموضوع الإيمان بالغيبيات ودلائلها لأن هذا الجانب كان ومازال مثار جدل بين الفكر الديني والفكر الفلسفي" (الجليند ، ١٩٩٩، ص١٣-١٤) ، فالتربية في واقعنا المعاصر تخاطب عقليات متباينة من حيث القدرة على الإدراك ، ومتباينة من حيث سلامة القلب من الأهواء

والشبهات والمعتقدات الفاسدة، ومتباينة من حيث المدخل الفكري الذي ترتكز عليه ، فمنهم من يكون مدخله الفكري يتسع استيعاباً وتسليماً للوحي ، ومنهم من لا يتسع فكره إلا للدلائل العقلية والحسية ؛ لذا يتوجب مخاطبة العقول وفق ما يسهم في تحقيق التصورات الصحيحة ، ويصل بها للتسليم للثوابت العقدية بمراعاة تباين المداخل الفكرية كي تثمر التربية ثمارها ، قال علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (البخاري ، ١٤٠٧،ج١، ص٥٩)، فإن مخاطبة ذو العقيدة السليمة ذات الاستناد المرجعي على الوحي ببراهين القرآن والسنة كافية وكفيلة بتحقيق القناعة بالحقائق أما من كان استناده المرجعي على العقل والحواس يعلو على استناده المرجعي على الوحي، فإنه ينبغي أن يخاطب بالبراهين العقلية والنقلية معاً ، "فمخاطبة غير المسلم أو من يرغب في التزود بالبرهان العقلي فإن ذلك لا يكفى في إقناعه ، وإنما لابد أن يضاف إلى ذلك شيء آخر له أكبر الأثر في توضيح الجانب العقلي في الإلزام بالبرهان"(الجليند ، ١٩٩٩، ص١٢-١٣) .

ولابد من الجمع بين الدليل والبرهان في إثبات الحقائق للطالب الجامعي ، فهناك فرق دقيق بين الدليل والبرهان ، فالدليل يقر حقيقة ما لكنه ليس بالضرورة أن ينفي إمكانية تعلقها بغيرها ، أما البرهان فهو إلزام عقلي يتم من خلاله إقرار حقيقة ما ، وينفي إمكانية تعلق الحقيقة بغيرها ؛ ولذا سماها الفقهاء الملزمات العقلية ، "فالإلزام معنى أخص من الدليل من بعض الوجوه ، فالدليل عند أكثر الفقهاء والأصوليين هو ما يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري ، فلا يشترط في الدليل أن يكون لإفساد قول المخالف فإن من الدليل ما يدل على معنى لا ينازع فيه أحد بينما الإلزام لا يكون إلا لغرض افساد قول المخالف وبيان تناقضه" (الهاشمي، ١٤٣٥، ص٣٩) ، وهذا ما التزم به المنهج الإسلامي فقد خاطب الله أصحاب الأفكار الضالة والمعتقدات الفاسدة المنكرين للوحي بالأدلة والحجج والبراهين العقلية التي تتناسب مع مستويات عقولهم مما أقام عليهم الحجة ومن شواهد ذلك قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ٦١ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ٦٢أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ٦٣أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(القرآن الكريم ، النمل، ٦١-٦٤) ، فحينما وقع انكارهم للذات الإلهية والعلم المتصل بها الوارد في الوحي أحالهم الله للاستدلال بأدلة عقلية وحسية وألزمهم بالإتيان ببراهين تنقد البراهين التي أحالهم عليها ؛ تكبيتاً والزاماً لهم وفضحاً لكبريائهم واعراضهم عن الحق .

فإن فقد العقل الاستناد على الأدلة والبراهين في بناء تصوراته ؛ فإنه سيكون عرضه للاضطراب والانحراف والتعصب الفكري والانغلاق على التصورات الفاسدة ؛ فلا بد أن يكون للفكر تصورات صحيحة عن كافة القضايا العقدية والتشريعية والإنسانية التي يستلزم منه الإيمان بها والانقياد لها ، أو تلك التي يتطلب منه الحكم عليها بالصلاح أو الفساد، و كلما كانت تصوراته مرتكزه في بنائها على مصادر أصيلة كلما ارتقت معارفه وتصوراته لمرتبة اليقين الذي لا ينتقد مما يحقق له الاتزان الفكري والسلوكي ،"فعندما قسّم العلماء الإدراك إلى تصور وتصديق فإنهم أردوا بذلك أن مَن لا يملك التصورات الصحيحة لا يمكن أن يصل إلى التصديقات الصائبة، وامتلاك التصورات الصحيحة هي في الحقيقة أدوات الاجتهاد في مسألة من مسائل الفكر" (السعيدي ، ١٤٣٥ ، ص٢٦) .

المطلب العقلي الخامس الاتزان العقلي في منهجية النقد العلمي: إن من العوامل الذاتية للطالب الجامعي والتي تؤثر في اتزانه الفكري تأثيراً إيجابياً نضج قدرته على التحليل والنقد ، والتي تقبلها نمو القدرة على القراءة الموسوعية والانفتاح الفكري على فكر الآخرين ، فلكي يتم استثمار هذه الاستعدادات استثماراً يحقق للطالب الجامعي الاتزان الفكري فإنه ينبغي تزويده بمنهجية النقد المعياري ، فإن من مظاهر عدم الاتزان الفكري مجافاة المعيارية في عملية النقد والتمحيص لفكر الآخرين ، إما بتجاهل الحق الوارد فيها وغمط الأفكار الصحيحة حقها بتغليب الخلل الوارد فيها، أو قبول كل ما في فكر الآخر والانغماس فيه دون العناية الدقيقة بتحليله وتحليل المفاهيم والأدلة والبراهين التي يستند عليها فهذا جهل وطيش وفساد منهجي .

فالطالب الجامعي ينبغي أن يدرب على منهجية النقد العلمي المعياري الذي يتم فيه التحليل الدقيق للآراء والأفكار والمفاهيم والنظريات والأدلة والبراهين التي ترتكز عليها الحقائق ، وأن ينمى لديه الحس النقدي التكاملي الذي يتمثل في النقد الداخلي والخارجي ، فأما الداخلي فيكون متصلاً بالمحتوى المعرفي والمنهج العقلي المتبع في إقرار الحقائق والنتائج التي توصل لها فكر ما والأدلة والبراهين التي يستند عليها ، و أما النقد الخارجي فهو ما يتصل بذات المفكر أو الكاتب ويتمثل في التحقق من صحه نسبة العلم للعالم ، والتأكد من صفاء عقيدته وسلامة منهجه الفكري. ولقد وضع (العوضي ، ٢٠٠٤) طرق لاكتشاف هوية المفكر والتأكد من عقيدته تتمثل فيما يلي :" أولا :المرجعية الفكرية والمحتوى المعرفي لفكره، فلا جدال في أن في المحتوى الداخلي لفكر الكاتب أو المفكر ما يكشف بدوره عن مرجعيته الفكرية ، ثانيا: الهدف الذي يسعى إليه المفكر ... فالهدف المتبنى يكشف عن المرجعية الفكرية العليا التي يصدر منها وعنها "(ص١٧٠) ، ويتحصل ذلك من خلال العناية بالتحليل الدقيق للمحتوى المعرفي والفهم الدقيق للمصطلحات والمفاهيم التي يعبر بها عن أفكاره والتي يشتهر باستخدامها مذهب فكري معين . فلكي يكون النقد منصفاً عادلاً ينبغي أن يكون متوازناً في إقرار الحق الوارد في فكر الآخر والباطل الوارد فيه دون إهمال لأحدهما، كما يستلزم أن يكون النقد للباطل مقترن ببيان ما يقابله

من الحق بالأدلة والبراهين ، فلا يصح أن يقف الفكر على تفنيد الشبهات والأخطاء الفكرية دون أن يوضح الحق الذي يقوم اعوجاجها بالأدلة والبراهين .فلا بد أن يدرب الطالب الجامعي على خطوات النقد للفكر المعارض أو الضال ، وتتمثل هذه الخطوات بتجزئة المحتوى المعرفي إلى أجزاء ودحض كل فكرة باطلة أو حقيقة ظنية خاطئة بإظهار البراهين والأدلة العقلية والنقلية على فسادها ، ومن ثم إقرار الحق الذي يقابل الباطل بالأدلة والبراهين النقلية و العقلية ، فلا يصح أن يقبح فكراً دون بينة، لكون ذلك يجعله فاقداً للمعيارية الدقيقة التي يحتكم إليها ، فالمنهج الإسلامي يتعامل وفق معايير ثابتة ودقيقة ، ولا يجيز التعدي على الحق الوارد فى فكر الأخرين ولا يقبل حكماً بلا دليل وبينة .قال تعالى : : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ٦﴾ (القرآن الكريم ، الحجرات، ٦) ، فالحكم على أفكار الأخرين كثيراً ما يتصل بإصدار حكم على عقيدة المفكر ، ولا يجوز أن يتساهل العبد في ذلك ولا أن يندفع بالحكم على العقائد والنوايا إلا ببينة وبرهان وبالقدر الذي اقتضته البينة ، وإلا فقد الفكر اتزانه وانحرفت أحكامه وفسدت عدالته، وكان فكراً منحازاً لمعاييره منتصراً لذاته لا للحق الرباني ، فلا بد أن يكون النقد بنظرة فاحصة دقيقة متوازنة وموزونه بميزان المعايير الربانية ، فلا يكيل الحق بميزانه ولا يقدر الباطل بمكياله بل هو مهتدي بهدي شريعة الله.

كما ينبغي أن ينمى في الطالب الجامعي أداب النقد والتجريح والتعديل وفق المنهج الإسلامي ، فينزه لسانه وفكره عن الاستطراد في أعراض المفكرين والعلماء ووصفهم بصفات ذميمة لا تتناسب مع مقدار الخطأ الفكري الواقع منهم. "فلا يجوز بحال أن يطيل القارئ لسانه على أحد العلماء السابقين، أو أن يقع في علمه ودينه، ويتهمه في نيته وعقيدته، ويجهله في علمه وعقله وتفكيره، ويلغى كل نتاجه العلمي نتيجة لخطأ أو أخطاء وقع بها... ، وهذه النظرة تمثل الاتزان الإسلامي، والوسطية الإسلامية، والعدالة في الأخذ والرد والسلب والإيجاب" (الخالدي ، ١٤٢٤، ص ١٥٩-١٦٠) ، ولا يصح كذلك أن يشتم أو يقبح صاحب الفكر الضال ؛حماية وصيانة لذاته وفكره وعقيدته قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ١٠٨﴾ (القرآن الكريم ، الأنعام، ١٠٨) . فمنهجية النقد العلمي منهجية تكفل تحقيق الاتزان الفكري أثناء التعامل مع فكر الأخر؛ حيث تضبط معيارية الانتقاء للأفكار الصالحة والفاسدة والنافعة والضارة وفق معايير الإسلام؛ مما يمكن الفكر من الاتزان بين الأصالة والمعاصرة والجمع بينهما في نسق فكري أصيل ، كما تكفل له اتزان عملية إصدار الحكم على فكر الآخر دون تحيز ذاتي أو تبعية فكرية ضالة . وإن كل ذلك ينعكس على الاتزان العقدي والسلوكي والخلقي للطالب مما يهمن له طريق التواصل والانفتاح الفكري الأمن ،"فهل يتحقق الاتزان والاعتدال قولاً وفعلاً بعيداً عن عقل وفكر لا يتخذ منهج التفكير الناقد سبيلاً " (القويفلي، وعتيبة ، والحلواني ،٢٠١٧، ص ٣٣٥) .

المطلب العقلي السادس : التوازن الفكري في تقدير المصالح والمفاسد وفق الاعتبار الشرعي لها : إن تقدير فكر الطالب الجامعي للمصالح والمفاسد يتطلب الاستناد للمعايير الشرعية في اعتبارها ، فكثير ما تكون المصالح والمفاسد التي يقدرها العقل البشري متوهمة وظنية وغير متزنة ؛ نتيجة الرؤية الإنسانية القاصرة ، والتي غالباً ما تهتم بإدراك ظواهر الأمور وعواقبها القريبة وتغفل عن الاهتمام بإدراك العواقب البعيدة ؛ مما يورث المرء قصور الهدف على الدنيا والانكباب على تحصيل مصالحها والغفلة عن الدار الآخرة. فقد حذر الله عباده من الانغماس في مطالب الدنيا موضحاً أن قصور الهدف يؤدي لقصور علم الإنسان مما يورثه الضلال والفساد وتضيع حياته الفانية من غير أن يتزود بما ينفعه فى حياته الباقية. قال تعالى: :﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا٢٩ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى٣٠﴾ القرآن الكريم ، النجم، ٢٩-٣٠) . كما أن الرؤية الإنسانية في تقدير المصالح والمفاسد رؤية غير تكاملية في تقدير أبعاد انعكاس هذه المصالح أو المفاسد ، فغالباً ما تنحصر زاوية الرؤية على تقدير الأثر المترتب على الفرد دون تقدير الأثر المنعكس على المجتمع ، فهي تتأثر بالأهواء وما يزينه الشيطان ؛ مما يجعل معايير الفكر مجافية للموضوعية، فلقد تم التوضيح إن من بين معطلات التفكير التي لابد أن يحذر منها الطالب الجامعي ويعمد لتنقية فكره منها الخضوع للمعايير الذاتية وما يزينه الشيطان من معايير باطلة في تقدير المصالح والمفاسد وفق اعتبارات تخالف الاعتبار الإلهي.

فإن المنهج الإسلامي حينما قدر المصالح والمفاسد قدرها في ضوء المقاصد الشرعية بنظرة تكاملية شمولية تراعي حق الفرد وحق الجماعة ، وتراعي العواقب العاجلة والآجلة وتوائم بينهما في نسق فكري متألف، ووفق هذه المنهجية الصحيحة وجه الله عباده للاجتهاد العقلي في تقدير المصالح والمفاسد لما يستجد من أمور وفق اعتبار علم المقاصد الشرعية في تقديرها وترتيبها ، فقد أرسى هذا العلم الشرعي الدقيق قواعد مقاصدية بُنيت وفق لها كافة التشريعات الإسلامية وأُسس وفق لها الاجتهاد الفقهي في تقدير المصالح والمفاسد. ومن هذه القواعد المقاصدية التي تحقق الاتزان الفكري في تقدير المصالح والمفاسد ، قاعدة رفع الضيق والحرج قال تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ٦ ﴾ (القرآن الكريم ،المائدة، ٦) ، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار قال رسول الله صلى:" لا ضرر ولا ضرار من ضار ضره الله ومن شاق شق الله عليه" (الدارقطني ، ١٣٨٦، ج٣ ، ص٧٧) ، فالاجتهاد العقلي في تقدير المصالح والمفاسد في المنهج الإسلامي لا يخضع للمعايير الذاتية الشهوانية أو الشيطانية ، إنما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالغاية الكبرى التي من أجلها خلق الله البشر وسن التشريعات التي تنظم علاقة الإنسان بربه ثم بالمخلوقات من حوله وفق ما يحقق مصالحهم في الدنيا والأخرة .

فلكي يتم حماية الطالب الجامعي من الخضوع لمعايير ذاتية فلابد أن يتم تأصيل عملية تقديره العقلي للمصالح والمفاسد وفق أساسيات علم المقاصد الشرعية وقواعده التي تمكنه من تقدير المصالح والمفاسد وفق نظرة شمولية تكاملية متوازنة تنسجم مع المقاصد الشرعية ؛ فيكون في مأمن من الانزلاق الفكري في تقدير مصالح أو دفع مفاسد متوهمة تتعارض مع المقاصد الشرعية المعتبرة ، مما يحقق له الاتزان الفكري المنعكس على الاتزان السلوكي ، والاتزان الاجتماعي .

❖ المتطلبات العقدية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية من المنظور الاسلامي :

المطلب العقدي الأول : حماية عقيدة الطالب الجامعي من مخالطة أهل الشبهات والانحرافات العقدية :

ينبغي على الجامعات أن تحمي عقيدة الطالب الجامعي من الاطلاع على فكر أهل الشبهات وتحذيره من التساهل في مجادلتهم بغير خلفية شرعية قوية وثبات عقدي ، وذلك من خلال توعيتهم بالخطر الفكري والعقدي الذي قد يصيب الطالب الجامعي حال الاستغراق في قراءة كتب أهل الضلال العقدي والشبهات الفكرية والجدل والحوار معهم ، فمن الخطر الفكري الذي أفقد بعض من شبابنا اتزانهم الفكري التساهل في مجادلة وحوار أهل الشبهات والمعتقدات الفاسدة، وإن كان هدف البعض منهم هدفاً شريفاً يتمثل في الدعوة إلى الإسلام إلا أن النتيجة لم تكن لدى البعض موصلة للهدف، بل جاءت بما ينقض عرى الإيمان في قلوبهم؛ نتيجة عدم امتلاكهم العلم الدقيق والعميق بالمنهج الإسلامي ومفاهيمه ومقاصده ، ولا دراية كاملة بالنصوص الشرعية ؛ مما جعل البعض يقع في الحيرة والاضطراب أمام التساؤلات العقلية التي يثيرها أهل الضلال فما يلبث أن يجد في قلبه شبهه لا يستطيع التخلص منها، فيقع في الضلال والفساد ويفقد اتزانه الفكري ، فإن مجالسة أهل الضلال خطر عظيم على العقيدة وهذا ما جعل أئمة السلف يحذرون من مجادلة أهل الضلال والشبهات مع قوة علمهم ؛ إيماناً منهم بخطورة هذه الأفكار ، "ولتعظيمهم كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت نفوسهم تنفر من أي كلام أو رأي يتقدم بين يدي الله ورسوله ، فكأنهم يسمعون الله في علياه يقول لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (القرآن الكريم ، الحجرات، ١)"(العجلان ، ١٤٤٠، ص٨٣)، فقد " قَالَ الْحسن لَا تجادلوا أهل الْأَهْوَاء وَلَا تُجَالِسُوهُمْ وَلَا تسمعوا مِنْهُم وَقد اتّفق أهل الحَدِيث من السّلف على هَذَا وَلَا ينْحَصر مَا نقل عَنْهُم من التشديدات فِيهِ ، وَقَالُوا مَا سكت عَنهُ الصَّحَابَة مَعَ أَنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الْأَلْفَاظ من غَيرهم إِلَّا لعلمهم بِمَا يتَوَلَّد مِنْهُ الشَّرّ"(الغزالي، ١٤٠٥، ج١، ص٨٨).

كما أن الله حذر المؤمنين من الخوض مع أهل الشبه والفتن قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ٦٨﴾ (القرآن الكريم ، الأنعام، ٦٨). وذلك لأن قلب

المؤمن يحيط به الشيطان فلا يُؤمن من وقع شبهه في قلبه فيعظمها له الشيطان فيفسد فكره وعقيدته؛ ولذا كان يكثر النبي صلى الله عليه وسلم من دعاء الله تعالى بالثبات على الهدى مع كونه مؤيد محفوظ من الله سبحانه و تعالى، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ".(النسائي، ١٩٩٨، ج٤، ص١٦) ، كما أن من مخاطر مجادلة أهل الشبهات والمعتقدات الضالة أنهم يستدلون بالنصوص الشرعية في غير مواضعها ؛ و ذلك يمثل خطراً فكرياً وعقدياً على من ليس له علم دقيق بالقرآن الكريم والسنة، فقد يقع في مصيدة شبهاتهم ظناً منه أن النص الشرعي يدل فعلاً على تلك الشبهات الفكرية؛ فالأسلم والأحوط للشاب أن يترك مجادلتهم امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ٤٦﴾ (القرآن الكريم ، العنكبوت، ٤٦).

فمجادلة أهل الشبهات والشهوات والبدع والضلالات تشغل القلب وتفسد إيمانه وتلبس عليه فهم وعقل النصوص الشرعية ؛ لكونهم يسيئون الاستدلال بها ؛ لذا حذر السلف من مجادلتهم "فعن الفضيل بن عياض: لا تجادلوا أهل الخصومات؛ فإنهم يخوضون في آيات الله "(اللالكائي ، ١٤٢٣، ج١ ، ص ٨٢).

المطلب العقدي الثاني:تحقيق التسليم التام لله ولرسله والرضى بأقداره الكونية والشرعية:

إن الاختلال في التسليم لأحكام الله الشرعية والقدرية والكونية وعدم الرضى بها توقع الفكر في اضطراب عقدي وسلوكي ، فهي توهم العقل بأن هناك تقديراً وحكمة أفضل من تقدير الله وحكمته التي قضى بها –تعالى الله عن ذلك علو كبير– ، فهي مؤشر من مؤشرات الخلل في العقيدة وعدم الثقة بقدرة الله وضعف الإيمان بتمام علمه سبحانه وتعالى . فلا مجال لخيرة العقل فيما يرد من أحكام الله الشرعية. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (القرآن الكريم ، الأحزاب، ٣٦) ، كما أنها مؤشر على فساد منهج العقل في تقدير حدوده وقياس امكانياته، وتعدي للعقل على علم الله تعالى فعلم الله ذو حكمة تامة وشاملة وعلم العبد لا يعدو قطرة في بحر علم الله تعالى ، فمهما حاول أن ينفذ بعقله ويتجاوز الحدود التى أقرها الله لعمل عقله فلن يتمكن قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ٣٣﴾(القرآن الكريم ،الرحمن، ٣٣) . وقال تعالى: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ٨٩﴾ (القرآن الكريم ، الأعراف، ٨٩) .

فحينما تكون منهجية العقل غير سليمة في تقدير قدراته ومعرفة حدود علمه فإن النتيجة ستكون فساد عقيدة التسليم لله والرضا بأحكامه، أما العقل الذي يحسن تقدير قدراته ويعرف حدود المجالات المعرفية التي تخضع لطاقاته؛ فسينتج عن ذلك تمام التسليم والرضى بأقدار الله وأحكامه ، يقول (العيني ،د.ت) " ما تعبد الله تعالى به خلقه من شريعته يجب أن يكون حجة على العقول ، ولا تكون العقول حجة عليه ، ألا ترى أن إنكار موسى ، عليه الصلاة والسلام ، كان صواباً في الظاهر ، وكان غير ملوم فيه ، فلما بيَّن الخضر وجه ذلك صار الصواب الذي ظهر لموسى في إنكاره خطأ، والخطأ الذي ظهر له من فعل الخضر صواباً، وهذا حجة قاطعة في أنه يجب التسليم لله تعالى في دينه ولرسوله في سنته ، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة فيه "(ج٢ ، ص١٩٦)؛ فهذا ما يؤكد وجود علاقة طردية بين قوة عقيدة التسليم والخضوع لأقدار الله والرضى بها وبين تحقيق الاتزان الفكري ، فكلما ارتفاع تسليم العبد لأقدار الله كلما ارتفع الاتزان الفكري له ، وكلما ارتفع اتصاف العبد بالاتزان الفكري وسلك مسلكه كلما ارتقى تسليمه لأقدر الله تعالى .

المطلب العقدي الثالث : تحقيق سلامة القلب من البدع ومجالسة أهلها: إن الفكر الذي يُوجد للبدعة حيزاً في عقله وقلبه هو فكر مختل في اتزانه مضطربٌ في منهجيته، فالبدعة هي: "اسم من ابتدع الشيء اخترعه وأحدثه ثم غلبت على ما لم يشهد الشرع لحسنه وعلى ما خالف أصول أهل السنة والجماعة في العقائد "(المناوي ، ج١ ، ص٧٢) ، فأساس كل بدعة ضلالة في المعتقد وفسادٌ في منهجية استقائه للأحكام الشرعية ، وتعدي على حدود الله بابتداع حكم شرعي يدعي فيه محبة الله ورسوله ، وهو في أصله خروج عن شرع الله وتحطيم لمقاصده، فقد قال " ابن القاسم: لا تجد مبتدعاً إلا وهو منتقص للرسول وإن زعم أنه يعظمه بتلك البدعة، فإنه يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان مستبصراً فيها فهو مشاق لله ولرسوله"(المناوي ، ١٣٥٦، ج١ ،ص ٧٢). ولقد ذم الله صاحب البدعة وذم عمله ووضح لعباده ضلال سعيه وبطلان عمله تبعاً لمفارقته للسنة النبوية. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا١٠٤﴾ (القرآن الكريم ، الكهف، ١٠٤)، فالبدعة توهم الفكر الإنساني أنه على هدى ونور وأنه محب لله ورسوله طائع لهما إلا أنه في حقيقة الأمر على ضلالة فكرية وعمله باطل ؛ لكونه مخالف للسنة النبوية والهدي الرباني متعارض مع مقاصد المشرع سبحانه وتعالى .

فعن العرباض بن سارية قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"(الحاكم النيسابوري ، ١٤١١، ج١، ص١٧٤). فلكي يتحقق الاتزان الفكري للطالب الجامعي فإنه ينبغي أن ترسخ الجامعات في فكره

أن العقل لا يسعه أن يشرع حكم ولا أن يجتهد في إقرار العبادات إنما يجب عليه الاتباع لا الابتداع ، فالشريعة كاملة لا نقص فيها واضحة جلية لا تحتاج لعقل قاصر يضفي لها تشريعاً ، كما يتوجب عليها العناية بتفنيد البدع الرائجة في المجتمع وبيان بطلانها بالأدلة والبراهين كي يدرك الطالب الجامعي فسادها وخطرها على عقيدة الإنسان ،" فكل مبتدع فاسق وليس كل فاسق مبتدع والمراد أن المبتدع الذي لا تخرجه بدعته عن الإسلام ،وهذا لأن البدعة فساد في العقيدة في أصل من أصول الدين والفسق قد يكون فساداً في العمل مع سلامة العقيدة" (ابن الصلاح، ١٤٠٦، ج١، ص ٢١٩) .

المطلب العقدي الرابع : تحقيق الاتزان العقدي بين الخوف والرجاء: إن فكر المؤمن مطالب أن يحقق التوازن في عقيدة الخوف والرجاء وفق قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (القرآن الكريم ، الإسراء، ٥٧)، فالرجاء والخوف لابد أن يكونا باتزان دون إفراط أو تفريط ؛ لكون الرجاء إن غلب على الخوف ؛ فإن الفكر يفقد اتزانه ويفرط في الالتزام بالمنهج الإسلامي ويتهاون في تقويم أخلاقه وسلوكياته ، وإن بالغ في خوفه من الله حمله ذلك على اليأس والقنوط من رحمته سبحانه وتعالى ؛ مما يجعل فكره غير متزن ونفسه مضطربة قلقه ، وتصوراته فاسدة خاصة عن الله وعن الدار الدنيا وحظه فيها، وكل ذلك يورثه الاضطراب السلوكي والأخلاقي، وهذا مخالف للمنهج الإسلامي المتزن قال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ٥٣﴾ (القرآن الكريم ، الزمر، ٥٣) ، ولقد فصل (الزرعي ، ١٣٩٣) الهيئة التي ينبغي أن يكون عليها الاتزان بين الخوف والرجاء قائلاً: "فصل القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران ومتى قطع الرأس مات الطائر ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف هذه طريقة أبي سليمان ، وغيره قال : ينبغي للقلب أن تكون الغالب عليه الخوف فإن غلب عليه الرجاء فسد وقال غيره : أكمل الأحوال : اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب فالمحبة هي المركب والرجاء حاد والخوف سائق والله الموصل بمنه وكرمه " (ج١ ، ص٥١٧) . فاعتدال عقيدة الطالب الجامعي في الخوف والرجاء تحقق له الاستقامة والاتزان الفكري والعقدي والسلوكي ، والمدخل الفكري لتحقيق الجامعات هذا الاتزان أن تتوازن التربية منهجاً وسلوكاً في تحقيق التربية بين الرغبة والرهبة ، فلا يغلب الترهيب من الله على الترغيب في رحمته ،" فإن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدنيا ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير الداعية في خط وسط بين مقامي الخوف والرجاء، فلا ينطلق في تخويف الناس إلى الحد الذي يجعلهم يقنطون من رحمة الله،ولا ينطلق في ترغيب الناس إلى الحد الذي يجعلهم يأمنون من عذاب الله تعالى "(الصَّلاَّبي ، ١٤٢٥،ج١، ص ٢٧١-٢٧٢).

المطلب العقدي الخامس: تحقيق الإيمان بالقدر خيره وشره :

إن الإيمان بالقدر خيره وشره مفتاح أساسي للاتزان الفكري ؛ لكونه يزود الفكر بالتصور الصحيح الموزون عن الحياة الدنيا ، واقتضاء سنة الله في جعلها دار ابتلاء ومحن وكد ونصب لا دار راحة وطيب عيش ، كما يرسخ في الفكر أن سنة الله في الابتلاء بالأقدار أزلية ، ومعيار الابتلاء هو التمحيص والارتقاء للإنسان لمرتبة أعلى لا الانتقام والتعذيب فأشد الناس ابتلاءً أقواهم ديناً ؛ كما وضح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم .فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ. (الترمذي ،١٩٩٨، ج٤ ، ص١٧٩) ، فإن جَهل فكر الطالب الجامعي بالحكمة الربانية من تقدير الأقدار الكونية خيرها وشرها يضعف اتزانه الفكري ، ويجعله مضطرباً في تصوره عن الله سبحانه وتعالى سيء الظن فيه وفاقد الثقة في قدرته ؛ لذا جعل الله الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان الست؛ لأنه مصدر للاتزان الفكري والسلوكي المترتب عليه زكاة القلب وطمأنينته وسكينته ، "وبهذا يتبين أن زكاة القلب بالعلم والإيمان بالقدر وفق ما دل عليه الكتاب والسنة، وقرره السلف الصالح يجلب للقلب الاتزان والطمأنينة والسكينة، وفي مقابل ذلك فإن اضطراب تلك المعرفة بالجهل أو الضلال في هذا الباب يجلب للقلب قلقاً وحيرة، وسوء ظن بالله، وعدم رضى عن الله؛ يزيد ذلك وينقص بقدر الجهل والضلال الحاصل في العلم والإيمان بتفاصيل القدر. " (الجربوع ، ١٤٢٣، ج٢، ص٥١٩) فلا بد أن تحرص الجامعات على تقوية غرس الإيمان بالقضاء والقدر وتقوية العلم المتصل بهما؛ وأن تصحح كل مظهر من مظاهر فساد التصور الفكري المتصلة بعقيدة الايمان بالقضاء والقدر ، مؤصلة في عقيدة الطالب الجامعي **قول رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم** : "**عجَبًا لأَمْرِ الْمؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلّهُ خيْرٌ ولَيْسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلا** لِلْمُؤْمِنِ إِن أَصَابَتْهُ سرَّاءُ شكَرَ فكَانَ خيْرًا له وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضرَّاءُ صبَرَ فكَانَ خيْرًا له "(مسلم ،د.ت، ج٤، ص٢٢٩٥)، فكل ما يظنه الفكر شر في القضاء والقدر إنما هو خير متى ما سلم ورضي ووثق بربه ، فتقبل الأقدار يعد مظهراً من مظاهر الاتزان الفكري يدرك به الفكر حقيقة السراء والضراء ، ويصل بواسطته لتحقيق الاتزان العقدي التعبدي والسلوكي والأمن النفسي والفكرى قال تعالى مصوراً أثر هذا الاتزان على السلوك التعبدى والعقدى:﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (القرآن الكريم ،آل عمران، ١٣٤).

المطلب العقدي السادس : تحقيق الوسطية في الاعتقاد والسلوك التعبدي : إن مبدأ الوسطية مبدأ قامت عليه الشريعة الإسلامية وهو متطلب أساسي من متطلبات تحقيق الاتزان الفكري المنعكس على الاعتقاد والسلوك ، فإن أدرك العقل أبعاد ومظاهر الوسطية فإن سلوكه سيكون متزناً وإن فقد ذلك كان مضطرباً منحرفاً عن جادة الطريق المستقيم قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ٦صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ٧﴾ (القرآن الكريم ، الفاتحة، ٦-٧) ، فلا افراط ولا تفريط لا في الاعتقاد ولا في الامتثال للتشريعات

، إنما اعتدال ووسطية منهجية تضمن للعبد الثبات على النهج المستقيم . قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :" غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ هَاتِ الْقُطْ لِي فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ وَهِيَ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ " (ابن حبان ، د.ت ، ج٩، ص١٨٣). فأساس كل تطرف فكري وضلال عقدي وفساد تعبدي الغلو والتطرف في فهم الدين والالتزام به؛ لكونه يخرج التشريعات عن مقاصدها الشرعية ويكلف نفسه ما لا طاقة لها به؛ مما يجعل النفس تنفر من الدين وتنبذه، ويجعل العقل مشرعاً في الدين مالم ينزل به الله من سلطان ، فيضر به ذاته ويضر به غيره فكل تطرف وغلو فإنه لا يخرج عن كونه إما تعدي على الحق الذاتي أو الحق الجماعي الواجب شرعاً .

المطلب العقدي السابع : لزوم الوحدة والجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف :

إن من المتطلبات العقدية التي تحقق الاتزان الفكري للطالب الجامعي غرس وجوب لزوم الجماعة والتحذير من مفارقة الجماعة والخروج عليها ؛ لما في الفرقة من هدم لكيان الوحدة الإنسانية والأخوة الإسلامية التي نظمتها ورفعت لوائها العقدية الإسلامية ، فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطر الخروج على الجماعة مؤكداً أهمية التزام الجماعة قال رسول اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم "يدُ اللّهِ على الْجمَاعَةِ فإذا شذَّ الشّاذُّ مِنْهمُ إختطفه الشّيْطَانُ كما يخْتَطِفُ الذّئْبُ الشّاةَ منَ الْغنَمِ " (الطبراني ، ١٤٠٤، ج١، ص١٨٦)، فالشيطان يسعى جاهداً لتفريق الأمة الإسلامية وحل تلاحمها ليكون الفرد منهم سهل الانقياد لأفكاره الضالة المنحرفة، منشقاً عن أمته، منقطعاً عمن يعيده للحق أن شذ عنه، قال تعالى :﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا١١٥﴾ (القرآن الكريم ، النساء، ١١٥) ، ولشدة خطورة الخروج على الجماعة ، فإن النبي صلى الله عليه أحل دم من خرج على أمته ليفرق وحدتهم العقدية قال رسول اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم: " أَيُّمَا رجُلٍ خرَجَ يُفرِّقُ بين أُمّتِي فَاضرِبُوا عُنُقَهُ"(الطبراني ، ١٤٠٤، ج١، ص١٨٦) ، فلكي يتحقق الاتزان الفكري لدى الطالب الجامعي فإنه يتوجب على الجامعات تأصيل مفهوم الوحدة الإنسانية بوحدة العقيدة الإسلامية السليمة ونبذ الخروج على الجماعة فالأصل في الشرع أن يكون العقل جمعياً لا فردياً مستقلاً كي يتحقق لديه الاتزان في تقدير الحقائق ورسم تصوراتها .

المطلب العقدي الثامن : أخذ الفتوى من أهل العلم : إن من الخلل العقدي الذي يفقد الطالب الجامعي اتزانه الفكري اخذ الفتوى من غير أهلها ، ممن ليس له علم دقيق بالمقاصد الشرعية ولا يجيد استخدام أدوات القياس وآليات الاجتهاد العقلي فيما لم يرد فيه نص ، أو من أهل الأهواء والمذاهب الضالة مما يفسد على المرء اتزانه العقدي والفكري والسلوكي ، فالقاعدة الشرعية لطلب الفتوى والأخذ بموجباتها سؤال أهل العلم وورثة الأنبياء من أهل الثقة والسلامة المنهجية والعقدية. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ٧﴾ (القرآن الكريم ، الأنبياء، ٧) .

ومن أوجه الانحراف في الأخذ بالفتوى التي تؤثر على الاتزان الفكري لدى الطالب الجامعي اعتقاد أن الاختلاف الفقهي يبيح للمرء ترك العمل بما يوجبه هذا الاختلاف ، والبعض يجعله سبيل للانتقاء من الأحكام ما تتفق مع هوى نفسه أو يتفق مع ميله النفسي لمذهب معين ،"إن هذا من الترخص الذي أجمع الفقهاء على ذمه وعيبه لمنافاته أصل التكليف ، لأن المسلم متعبد باتباع النص ما استطاع وجعل بعض الأقوال في سلة يختار منها ما يشاء يجعله متبعاً لهوى النفس"(العجلان ، ١٤٤٠، ص١٥٧)، وإن الأمر ليس كذلك فإن وقع الانسان في حكم مختلف عليه توجب عليه أن يرجح القول الصادر من العالم الذي اشتهر عنه سلامة منهجيته وقوة علمه وقوة أدوات القياس لديه، فإن استوى مرتبة العلماء في نظر طالب الفتوى ، فإنه ينظر إلى الأدلة والبراهين التي استندوا عليها فيرجح أشدها اقتراباً من الحق الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي تطمئن له النفس وتسكن فإن الباطل والاثم يجيد المرء أثره فى نفسه وأن حكم عليه بخلاف ذلك قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا٥٩﴾ (القرآن الكريم ، النساء، ٥٩). ومن أشد صور الفكر غير المتزن ما ظهر من تنطع طالب الفتوى بالسؤال والتحايل في إبداء حقائق الأمور كي يلبس الأمر على المفتي فيفتي له بغير الحق نتيجة غياب التصور الصحيح لأمر . فلكي يتحقق لدى الطالب الجامعي الاتزان الفكري فإنه ينبغي أن يهتم بأخذ دينه من الراسخين في العلم ذو السلامة العقدية والسلامة المنهجية في التفكير ويحذر من أهل الأهواء والانحرافات العقدية ويحذر من التنطع في السؤال عن أحكام الدين. قال تعالى: :﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ٧﴾ (القرآن الكريم .آل عمران. ٧) ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه : "لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا " (الشاطبي ، د.ت ، ج٢، ص١٧٤). كما ينبغي على الجامعات أن تقرر في فكر الطالب الجامعي وعقيدته أن الاختلاف الفقهي لا يعني الغاء العمل بالحكم المختلف عليه فليس من شروط العمل بالأحكام الشرعية الاتفاق التام دون وجود اختلاف في الظاهر بين العلماء .

ووفق ذلك فإن اعتناء الجامعات بتحقيق هذه المتطلبات العقدية والعقلية وتأصيلها في فكر الطالب الجامعي سيسهم في تحقيق الاتزان الفكري ، والتي ينبغي أن تقدم للطالب الجامعي من خلال تضمينها في مقرر علمي يكون متطلب أساسي وعام في كافة التخصصات العلمية ، كما يمكن تضمينها في الأنشطة المنهجية وغير المنهجية التي تقدم للطالب الجامعي مما يقوي عملية غرسها في فكره ، ولابد كذلك من تعزيز دور الأسرة وتضامنها مع دور الجامعة في تحقيق هذه المتطلبات في فكر أبنائها وخاصة في هذه المرحلة العمرية للطالب الجامعي الذي تتهيأ فيها قدراته العقلية لتساعده للانتقال من حالة التوازن إلى حالة الاتزان، والتي يكون فيها الإنسان في أوجه قوته ونضجه العقدي والعقلي والجسدي والنفسي، مما يجعله في حاجة ماسة

لتحقيق الاتزان الذي يجعله في منزلة هي أحب إلى الله فيما لو تحقق الاتزان الفكري وفق معطيات المنهج الإسلامي ، فإن ميزان المنهج الإسلامي أقسط ميزان تشريعي وزنت فيه شؤون الحياة بتناسق وتوائم بين كافة جوانب الشخصية الإنسانية وكافة مجالات الحياة الإنسانية ، نشأت في ظلاله السعادة والطمأنينة والاستقرار والأمن الفكري والاجتماعي ، وتنطلق منه الطاقات الإنسانية بتوسط واتزان دون كبت أو مغالاة؛ فلكي يكون الغرس متكامل ومتضامن ومهيأ للطالب الجامعي فإنه ينبغي تضامن مختلف المؤسسات التربوية الرسمية والاجتماعية وخاصة الجامعة والأسرة .

الخاتمة

لقد تبين من خلال المعالجة العلمية لقضية البحث أن تحقيق الاتزان الفكري للطالب الجامعي وفق المتطلبات العقلية والعقدية المستنبطة من المنظور الإسلامي يعد ضرورة تربوية ، حيث يسهم في تنمية القدرات العقلية والوفاء بمطالب النمو العقلي للطالب الجامعي ، كما يمكنه من مواجهة عوامل البيئة الفكرية التي تمثل تحدي من تحديات التربية باتزان وثبات عقدي وسلوكي يحميه من مخاطر الأفكار الضالة والمذاهب الفكرية المنحرفة ، وذلك من خلال تزويده بمنهجية عقلية سليمة تنتظم فيها المتطلبات العقلية والعقدية لتحقيق الاتزان الفكري التي تهيمن له عملية إعادة تنظيم أفكاره وإعادة بناء تصوراته الفكرية وفق رؤية إسلامية أصيلة يرتكز فيها على مصادر أصيلة في استقاء معارفه وتصوراته ، كما تدعمه بالمنهجية الإسلامية في التعامل مع الأفكار الوافدة من فكر الأخر ، وضوابط الحوار الفكري، والقدرة على حل الصعوبات الفكرية التي تواجهه نتيجة الانفتاح الثقافي العالمي على البيئات الفكرية؛ محققةً له وفق ذلك الاتزان الفكري والاعتدال والوسطية الفكرية الذي ينتج عنها الاعتدال والاتزان العقدي والسلوكي، وسلامة التطبيق للتشريعات الإسلامية وفق ما يكفل تحقيق مقاصد الشريعة ، فيكون في مأمن من الوقوع في الغلو والتطرف الفكري والالحاد العقدي، وتحميه من الشك في مدى صلاحية المنهج الإسلامي لكل زمان ومكان ؛ ولذا فإنه ينبغي على الجامعات العناية بهذه المتطلبات من خلال تضمينها في مقرر علمي يقدم لكافة الطالب في مختلف التخصصات كمتطلب أساسي عام .

أهم النتائج :

لقد توصل البحث لمجموعة من النتائج يمكن تفصيل بيانها وفق ما يلي:

١- يعبر الاتزان الفكري عن سلامة منهج التفكير يصل من خلاله الإنسان لتكوين تصورات عقلية يقينية ، ومعارف أصيلة تمكنه من تحقيق الاستقرار العقلي والنفسي والثبات العقدي والسلوكي والقيمي .

٢- إن من أبرز خصائص الفكر المتزن أنه فكر موضوعي، برهاني ، وسطي ، منهجي التفكير يقدم النقل على العقل ، و يؤمن بنسبية القدرات العقلية، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ويتسم بالاعتدال والاستواء على الصراط المستقيم.

٣- تتمثل العوامل المؤثرة في تحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية في عوامل ذاتية تتصل بخصائص النمو العقلي ومطالبه للطالب الجامعي ، وعوامل خارجية تتصل بالبيئة الفكرية للمجتمع .

٤- أقرت منهجية التفكير السليم في المنهج الإسلامي متطلبات عقلية لتحقيق الاتزان الفكري لطلاب الجامعات السعودية.

٥- إن تزويد الطالب الجامعي بالمنهجية الصحيحة لفهم النصوص الشرعية متطلب عقلي ركيز لتحقيق الاتزان الفكري .

٦- إن تنقية عقل الطالب الجامعي من معطلات الاتزان الفكري متطلب أساسي من متطلبات العقلية لتحقيق الاتزان الفكري.

٧- إن منهج التقليد الأعمى، ومنهج الظن والتشكيك في الثوابت الدينية ، و اثار الشهوات والشبهات ، وإتباع خطوات الشيطان من المناهج العقلية التي تفقد الطالب الجامعي اتزانه الفكري.

٨- إن الارتكاز على القرآن الكريم وترك السنة النبوية، وتقديم العقل والحواس على الوحي من مظاهر عدم التوازن بين مصادر الاستقاء العلمي والتي تؤثر سلباً على تحقيق الاتزان الفكري.

٩- يتطلب الاتزان الفكري للطالب الجامعي أثناء بناء تصوراته العقلية اكتساب العلم اليقيني بالأدلة والبراهين.

١٠- إن منهجية النقد العلمي متطلب عقلي يكفل تحقيق الاتزان الفكري بين الأصالة والمعاصرة للطالب الجامعي وتضبط معيارية تفاعله الثقافي وفق معايير الإسلام.

١١- يتطلب تقدير فكر الطالب الجامعي للمصالح والمفاسد الاستناد للمعايير الشرعية في اعتبارها ،كمتطلب عقلي لتحقيق الاتزان الفكري .

١٢- إن حماية عقيدة الطالب الجامعي من مخالطة أهل الشبهات والانحرافات العقدية والبدع متطلب عقدي لتحقيق الاتزان الفكري.

١٣- توجد علاقة طردية بين قوة عقيدة التسليم لأقدار الله الشرعية والكونية وبين تحقيق الاتزان الفكري ، فكلما ارتفاع تسليم العبد لأقدار الله كلما ارتفع الاتزان الفكري له ، والعكس صحيح .

١٤- اعتدال عقيدة الطالب الجامعي بين الخوف والرجاء تحقق له الاتزان الفكري والعقدي والسلوكي.

١٥- إن الإيمان بالقدر خيره وشره متطلب عقدي أساسي للاتزان الفكري ؛ لكونه يزود الفكر بالتصور الصحيح الموزون عن الحياة الدنيا والأخرة .

١٦- إن من المتطلبات العقدية التي تحقق الاتزان الفكري للطالب الجامعي غرس وجوب لزوم الجماعة والتحذير من مفارقة الجماعة والخروج عليها.

التوصيات :

١- توصي الباحثة الجامعات بتضمين المتطلبات العقلية والعقدية لتحقيق الاتزان الفكري في مقرر علمي يقدم للطالب الجامعي في مختلف التخصصات كمتطلب عام أساسي .

٢- توصي الباحثة الجامعات بإقامة ورش عمل وبرامج تدريبية تزود الطالب الجامعي بالمنهجية الصحيحة في التعامل مع النصوص الشرعية ، ومنهجية التفكير العلمي البرهاني ، ومنهجية النقد المعياري ، والمنهجية الصحيحة في التعامل مع فكر الآخر .

٣- توصي الباحثة الجامعات بتدريب الطلاب على المناظرات العلمية وتزويدهم بالعلم الشرعي الذي يقوي حجتهم .

٤- توصي الباحثة بتكثيف المحاضرات العلمية التي تتصل بالمنهجية الإسلامية في تنمية التفكير السليم ، والمتصلة ببيان المنهج الإسلامي ومقاصده يقدمها متخصصين تربويين وشرعيين .

٥- توصي الباحثة الجامعات بتقوية التواصل بين الجامعة والأسرة بهدف تعزيز دور الأسرة في تحقيق الاتزان الفكري .

المقترحات :

١- تقترح الباحثة إقامة بحث علمي يعتني ببيان الدور التربوي للجامعات في تحقيق الاتزان الفكري لدى طلابها.

٢- تقترح الباحثة إقامة بحث علمي يعتني بإعداد المعلم وفق متطلبات تحقيق الاتزان الفكري والعقدي للطلاب.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن .(١٤٠٦). *فتاوى ابن الصلاح*. دار المعرفة. تحقيق : عبدالمعطي بن أمين قلعجي .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. (د.ت) .*الرد على المنطقين* . دار المعرفة .

ابن حبان ، محمد . (د.ت). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان.(ط.٢). مؤسسة الرسالة. ت: شعيب الأرناؤوط.

ابن حنبل، أحمد بن محمد.(١٤٢١). *مسند الامام أحمد بن حنبل*. مؤسسة الرسالة .

ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (١٤١٩). *شرح العقيدة الواسطية* (ط.٥) . دار ابن الجوزي، ت: سعد فواز الصميل.

ابن ماجه ، محمد بن يزيد القيرواني.(د.ت). *سنن ابن ماجه*. دار الفكر. ت: محمد فؤاد عبد الباقي .

الأصفهاني، عبد الله بن محمد.(١٤٠٨). *العظمة*. دار العاصمة. ت: رضاء الله المباركفوري .

آل مرشد ، محمد خيري .(٢٠١٣) . *البيئة الفكرية* . نشرت هذه المادة في صحيفة الشرق المطبوعة . ٥٤٣، ١٦.
http://www.alsharq.net.sa/2013/05/30/851723

البخاري ، محمد بن إسماعيل .(١٤٠٧). *صحيح البخاري* (ط.٣). دار ابن كثير.ت: مصطفى ديب البغا.

البدر ، بدر بن ناصر .(١٤٣٠) . التحذير من الغلو في ضوء القرآن الكريم . الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه .

بكار، عبد الكريم محمد . (١٤٣٤). *هي هكذا : كيف نفهم الأشياء من حولنا* (ط.٢). دار وجوه للنشر والتوزيع .

الترمذي ، محمد بن عيسى .(١٩٩٨).*سنن الترمذي* .دار الغرب الإسلامي ت: بشار عواد معروف.

الجاحظ ، عمر بن بحر . (د.ت). *الحيوان* (ط.٢). دار الجيل . ت: عبد السلام هارون .

جامي علي ، محمد أمان بن علي. (١٤٠٨). *الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه* . المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية .

الجربوع ، عبد الله بن عبد الرحمن. (١٤٢٣). *أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة*. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية .

الجليند، محمد السيد .(١٩٩٩) . *تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين* . دار قباء .

الجهوية، ملحقة سعيدة . (د.ت). *المعجم التربوي*. المركز الوطني للوثائق التربوية. وزارة التربية الوطنية. الجهورية الجزائرية الديمقراطية.

جوهر، بلحنافي .(٢٠١٩) . *التطرف الديني وتأثيراته على الأمة*. مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، ٥ (٢) ،

١٨-٥.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله.(١٤١١) . *المستدرك على الصحيحين* (ط.٤). دار الكتب العلمية . ت : مصطفى عطا .

حمداوي ، جميل . (د.ت). *المراهقة خصائصها ومشاكلها وحلولها*. شبكة الألوكة . https://books.islamway.net/1/549_%20morahqatarbia a_hamdon.pdf

خالد ، محمد عبد الرزاق.(١٩٩٨) .*المتطلبات التربوية لطفل ما قبل المدرسة الابتدائية في القرية المصرية في ضوء الوظيفة التربوية للكتاتيب*. رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية التربية . جامعة الأزهر.

الخالدي ، صلاح عبد الفتاح. (١٤٢٤). *مفاتيح للتعامل مع القرآن*. دار القلم .

الدارقطني، علي بن عمر.(١٣٨٦). *سنن الدارقطني*. دار المعرفة. ت: السيد عبد الله هاشم يماني المدني

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني .(١٩٨٤) .*تاج العروس من جواهر القاموس* . دار الهداية .

الزرعي، محمد بن أبي بكر . (١٣٩٣) .*مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين* .(ط.٢). دار الكتاب العربي. ت : محمد حامد الفقي

الزعاقي ، وفاء عبد الله .(١٤٣٧) . *اليقين في القرآن الكريم*. دار الحضارة للنشر والتوزيع .

زهران، حامد عبد السلام .(١٩٨٦). *علم نفس النمو الطفولة والمراهقة*. دار المعارف.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٢١). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. مؤسسة الرسالة. ت: ابن عثيمين.

السعيدي ، محمد إبراهيم .(١٤٣٥). *منهج للبناء الفكري : الأسس والمبادئ الضرورية* (ط.٣). دار الوعي للنشر والتوزيع .

السيف، ناصر بن سعيد. (١٤٣٥). *ظاهرة الالحاد في المجتمعات الإسلامية : الالحاد في المجتمع السعودي* . المكتبة العربية الالكترونية . https://arablib.com/?view=book&lid=3&rand1=cTVJdWNYWlVeJkth&rand2=VlkyOHdHNWoxeE11

الشاطبي ، أبو إسحاق (د.ت) . *الاعتصام*.المكتبة التجارية الكبرى.

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد . (١٤١٤). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. دار الفكر .

صبح ، علي علي .(د.ت) .*التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية* . المكتبة الأزهرية للتراث.

الصَّلاَّبي ، عَلي محمد محمد . (١٤٢٥) . *أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : شخصيته وعصره – دراسة شاملة* . مكتبة الصحابة.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب.(١٤٠٤). *المعجم الكبير* (ط.٢). مكتبة الزهراء. ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

العبد الكريم، فوزية عبد المحسن. (١٤٣٩).*تصور مقترح لدور الجامعات السعودية في حماية الشباب من خطر الالحاد في ضوء الكتاب والسنة* . مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف . جامعة الامام محمد بن سعود . ٦، ٢٠٦٦-٢٠٨٩.

عبد المعطي ، حسن مصطفى ، وقناوي ، هدى محمد . (د.ت). *علم نفس النمو* .دار قباء للطباعة والنشر .

عتيبة ، آمال محمد حسن . (١٤٣٥). الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي : دراسة تحليلية من منظور تربوي حضاري . سلسلة الدراسات الحضارية . رابطة الجامعات الإسلامية . ٤ .

عثمان ، عبد الجواد سالم ، والحمداني ، بان جار الله علي حسن. (٢٠١٩). *أثر التوازن الفكري في تنمية التعايش السلمي في المجتمعات العربية*. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ٢(١٦) ، ٦٦٨– ٦٩٨.

العجلان، عجلان بن محمد. (١٤٣٩). *الحصانة العقدية ودورها في مقاومة الانحرافات الفكرية* . مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف . جامعة الامام محمد بن سعود . ٦، ٢٠٦٦-٢٠٨٩.

العجلان ، فهد بن صالح .(١٤٤٠). معركة النص مع التحريف المعاصر للأحكام والمفاهيم الشرعية(ط.٢). مركز البيان للبحوث والدراسات .

علي ، سعيد إسماعيل .(١٤٢٥) . *تجديد العقل التربوي* . عالم الكتب .

العمار ، عبد العزيز بن صالح . (١٤٣٩). *أثر الجامعات في حماية عقول طلابها من الانحرافات الفكرية*. مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف. جامعة الامام محمد بن سعود . ٦، ٢٠٣٧– ٢٠٥٢٢.

عناية ، غازي . (١٤٢٨). *منهجية اعداد البحث العلمي* . دار المناهج للنشر والتوزيع .

عواجي، غالب بن علي.(١٤٢٢).*فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها*. المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق.

العوضي، زكي علي . (٢٠٠٤). *حركة الإصلاح في العصر الحديث: عبد الرحمن الكواكبي نموذجاً* . المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد . (د.ت).*عمدة القاري شرح صحيح البخاري* . دار إحياء التراث العربي .

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي .(١٤٠٥). *قواعد العقائد*(ط.٢) . عالم الكتب.

الفريح ،أحمد محمد .(١٤٣٧) . *حماية الفكر في القرآن الكريم : دراسة موضوعية* . دار الحضارة للنشر والتوزيع .

فوده ، حلمي محمد ، و عبد الله ، عبد الرحمن صالح . (١٤١١) . *المرشد في كتابة البحوث*. دار الشروق للنشر والتوزيع.

قطرن، أحمد صالح محمد . (١٤٤٠). *الفتوي المنضبطة وأثرها في تحقيق التوازن الفكري في المجتمع* . مجلة البحوث الفقهية والقانونية. جامعة الأزهر. كلية الشريعة والقانون. ٣٣(١) ، ٥٤٣-٦١٦.

القويفلي ، لولوة عبد الكريم ، و الحلواني ، حنان صلاح الدين ، و عتيبة ، آمال محمد .(٢٠١٧) . *واقع ممارسات طالبات جامعة أم القرى داخل شبكات التواصل الاجتماعي بما يعكس الوسطية لديهن* . المركز العربي للتعليم والتنمية . مستقبل التربية العربية . ٢٤(١٠٧)، ٢٩٧-٤٤٠.

اللالكائي ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور .(١٤٢٣) . *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*(ط.٨) . دار طيبة. ت : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي

المرزوقي أبو حسين آمال بنت حمزة. (١٩٩٩). *المنهجية العلمية في الفكر التربوي الإسلامي* . مجلة كلية التربية. الزقازيق . ٣٢، ١٨٩- ٢٢٠

مسلم ، الحجاج بن مسلم النيسابوري.(د.ت) .*صحيح مسلم* . دار إحياء التراث العربي . ت : محمد فؤاد عبد الباقي.

المناوي، عبد الرؤوف. (١٣٥٦) . *فيض القدير شرح الجامع الصغير* . المكتبة التجارية الكبرى.

النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي. (١٤٠٦). *السنن الصغرى للنسائي* (ط.٢). مكتب المطبوعات الإسلامية. ت: عبد الفتاح أبو غدة

الهاشمي، فؤاد يحيى . (١٤٣٥) . *نظرية الإلزام – إلزامات ابن حزم*. مركز نماء للبحوث والدراسات .

اليوسف، عبد الرحمن بن ناصر . (١٤٣٩). *الغلو في الدين واثره* . مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف . جامعة الامام محمد بن سعود . ٦، ٢٠١٣- ٢٠٣٦